

THE BOOK WAS DRENCHED

TIGHT BINDING BOOK

UNIVERSAL
LIBRARY

OU 190189

UNIVERSAL
LIBRARY

تكملة مجاهد أفريقية

تعريب المعلم شاكر شفيق

اللساني

عضو عامل في المجمع العلمي الشرقي

فضل السباحة لذة وفكافة
فكأنها المرأة فيها تنصر الدنيا وانت على ساطك فاعد

طبع في بيروت بمطبعة التدريس جاوارجيوس سنة ١٨٨٥

تكملة مجاهد أفريقية
تعريب المعلم شاكر شفيق
اللساني
عضو عامل في المجمع العلمي الشرقي

القسم الاول

مقدمات اجمالية

الفصل الاول

في حالة افريقية قبل ليفنستون

كانت امطة افريقية في الرمان الاول تطلق على قسم شمالي من القارة الحالية . وبعد اكتشافات السياح وطوأم حول هذا البر السبع صارت تحسب قارة عظيمة من قارات الكرة الارضية وهي احدى الثلاث الشاغلة الوجه الشرقي منها . مساحتها نحو ٢٥ مليون كيلومتر مربع . وكانت سابقاً متصلة باسيا بقطعة من الرمل فاصلة بين البحر المتوسط والبحر الاحمر يقال لها برزخ السويس والآن قد صار هذا البرزخ ترعة فصارت افريقية جريدة كبيرة يمدق بها البحر المتوسط والبحر الاحمر من الشمال والشمال العربي والاقويانوس المحيط من الشمال الشرقي والشرق وبحر الهند من الغرب والاقويانوس الكبير من الجنوب وطرفها الجنوبي هو المعروف براس الرجاء الصالح وعرفت سواحل افريقية في ازمان متساية واما داخلها فبقيت قرواً عديدة مجهولة لشدّة حرارتها وكثرة محارضا والاططار والمشقات المعترضة

دون من يتوغل فيها ومع ان اليونان والرومان كانوا يدخلون افريقية ويواصلون سواحلها وبعض قائلها الداخلية مدة طويلة من الدهر لم يحطر سالم ما في داخلها من الماوز والصخاري الرملية والوعور والجبال والانهار ونحو ذلك مما عره المتأخرون

فابعد رحلة عرفت من الآثار القديمة رحلة امير بحر قرطاجني نندم على سواحل ليبيا الى ان بلغ النقطة التي زعموا انها خط السرطان . وذكر هيرودوتس رحلة فينيقية كانت تحت حماية نحو ملك مصر وان الجماعة دخلوا البحر الاحمر نادرة حفرت حديثا وبعد ثلاث سنين من مسيرهم في البحر رجعوا الى المكان الذي رحلوا منه وقد مروا باعمدة هرقليس . وتعجب هيرودوتس من امر حدث لم وهو ان الشمس كانت اولا تطلع عن يسارهم ثم راوها في رجوعهم تطلع عن يمينهم . وهذا يدل على ان هؤلاء الفينيقيين قطعوا خط الاستواء مرتين . وسنة ١٨٢٠ اكتشف السياج قرب راس الرجاء هيكمل سفينة خشب الارز مدفونة منذ قرون عديدة وزعموا انها سفينة فينيقية

ولا يتعجب القارئ من ذكر هيرودوتس دخول البحر الاحمر نادرة حديثة المحرلان عملة دولبس لم تكن الوحيدة في ررخ السويس فالا قدمون كثيرا ما اجالوا افكارهم في فتح ترعة تصل بين البحر المتوسط والبحر الاحمر فعلى ما يظهر من كلام هذا المورخ ان نحو ملك مصر فتح تلك الترع . وعلى راي ديدودورس الصقلي ان دارا الاكبر شرع بهذا العمل سنة ٤٩٠ ق . م واكمله بطليموس سنة ٢٧٧ للميلاد . وذكر بلينيوس ان الترع كانت تصل الى البحيرات المرة والدلائل كثيرة على القول بانها كانت تنصل ايضا بالبحر الاحمر . ولما حشرت مؤخرآ في عهدنا هذا وجدت آثار كثيرة تدل على انها من عهد بطليموس او كليوباترة . ودخلتها السفن قديما الى القرن السادس للمسيح بعناية الامبراطور طريانوس والامبراطور اورليانوس الرومانيين . ثم طمرت مدة طويلة الى زمن الفتح الاسلامية فتفتحها عمرو بن العاص وفتت مفتوحة الى

زمن المنصور فطرت لسد طريق العصاة المصريين ولم تنزل مطبوعة الى هذا
الزمان ففتحها المهندس دولسبس المشهور

وكان القدماء كما قلنا لا يعرفون من افرقية الا القسم الشمالي وسائر
اقسامها بقيت عامصة حتى على المتأخرين . ومنذ القرن الخامس عشر اخذ
السياح في التقدم على سواحلها مخاطرين بانفسهم واول من فعل ذلك البرتوغاليون
فنعرفوا السواحل وواصلوا القبايل الداخلية . وكل ما عرف في ذلك الزمان
من احوال افرقية بقي على ما هو الى اوائل القرن التاسع عشر الذي نحن فيه
ورد على ما تقدم ان الاولين كانوا يعرفون احوال مياها الداخلية اكثر
من المتأخرين الى سنة ١٨٤٠ فقد صنع البرتوغاليون كرات في القرن السادس
عشر ومركاتور خارطات سنة ١٥٤١ وكذلك كورونلي سنة ١٦٨٨ وعلى جميعها
رسوم بحيرات في افرقية يتفرع منها النيل وفي الندفية نشرت عدة خارطات
منها باسم مارين سلودو سنة ١٦٢١ وباسم فراموروس سنة ١٤٥٧ ومرتين بينهم
سنة ١٤٩٢ اودياغور بيرا الانبيلي سنة ١٥٢٩ ودار الامستردام سنة ١٦٧٦
واثيل سنة ١٧٤٦ يظهر منها انه منذ عهد قدم قريب من اسفار البرتوغاليين
كانوا يعرفون بعض امور مفردة عن بحيرات كبيرة في واسط افرقية دعت
العلماء المتأخرين من اساء هذا العصر الى الاستقراءات العظيمة . وقد ذكر
بطلهموس ان القطر الذي فيه ينابيع النيل يقال له ملاد القرو وهو اسم الى
اليوم وذكر ايضا ان البحيرات التي يخرج منها النيل كثيرة المستنقعات ومع ذلك
كان يجهل مواقع هذه البحيرات وعددها

والرحلات التي قام بها الناس الى تلك الاقطار كثيرة منها للعرب ومنها
للبرتوغاليين واول رحلة مهمة تذكر رحلة لاون الافريقي ومنها بعد ذلك
رحلات كافانسي وبونسي وروي وكولسي وذلك في القرن السابع عشر
ثم رحلات كيمابيون وستيورت ومكاو ودي مرشي وبوكوك وروث وابزر
ونوريس وبورمان وبارو ومدزو لاسردا وذلك في القرن الثامن عشر .

وليس في رحلاتهم تقارير يركن إليها . ثم كانت رحلة آدمس وصل بها إلى تمسكو سنة ١٨١٠ ورحلة معورك مات بها قتيلاً وهي أول رحلة تقاريرها صحيحة عما يتعلق بهر يجر ثم رحلات كلارنوتون ولامي ورنشرد لندر وكالبي ثم رحلة برث الشهير ورفيقه موحل وما اللذان دخلا الاقطار السودانية التي ينتها الهر المذكور

وأما في ساحل افريقية الشرقية فلا يعرف الا رحلة برتوغالية من سنة ١٨٠٦ إلى ١٨١٠ وصلوا بها إلى مصبات رميز ولم تات رحلاتهم بطائل . ثم كانت رحلة المرسل الانكليزي كرف ورفيقه ارهت ورممان فاكتشفوا اشياء مهمة في جبال قبة قبليخارو وحصلوا من تجار العرب في تلك الاقطار افادات تتعلق بالمجبرات الكبرى أدت السياح إلى قصدتها سنة ١٨٤٥ رحل شاب فرسوي اسمه ميزان وسماه هو حارج من نعاميو نحاء زربار قاصداً قرية حل المهرة التي تبعد عن الساحل نحو ٢٠٠ كيلومتر دهمه الحرارة وعدوه اشد العذاب وقتلوه وقد كان آملاً ان يبلغ بحيرة تشاد سنة ١٨٥٩ مضى ردشر الهبرعي مع قافلة من العرب وقارب بحيرة نياصا فقتل وهو باغم

هذا يجعل ما عرف من الرحلات الأوروبية إلى الاقطار الافريقية إلى الوقت الذي قام به العلامة لبسنون باكتشافاته الحائلة بعد ان اقام في افريقية مدة طويلة فتاهب وترع باول رحلاته سنة ١٨٤٠ ومضى سنة ١٨٥٢ إلى غرب افريقية الشمالية ووصل إلى ساحل كونغو ورجع إلى كيليماني على ساحل افريقية الشرقي ماراً بوادي زميز فاكتشف شلالات هذا الهر وهكذا اجتاز بر افريقية من ساحل إلى ساحل . امر لم يسبق إليه احد من الأوروبيين . فلما رأى ان مساعيه تحتمل عزم على الاستقراءات الكثيرة في الاقطار الصحية فكان ينجح بواسطة سمو غناه ومعارفه الطبية . فشرع رحلته الثانية الكبرى سنة ١٨٥٨ فاستقرى بها نهر شيري الذي يلتقي بزميز واكتشف بحيرة نياصا التي يخرج منها شيري وعرف معرفة تامة القسم الاسفل من زميز . سنة ١٨٦٥

عزم على دخول القطر المحلول الواقع بين تنغانيقا وبياصا لكي يتم استقراء
الاولى من هاتين المجهريتين ويتعرف احوال الاقطار التي الى غربيها وشمالها
صاعداً وراء خط الاستواء الى صقع كبير لم تكن احواله معروفة ولذلك قصي
السنبس الاخيرة من حياته في انعام مشروعه المذكور من شهر اذار سنة ١٨٦٦
الى شهر ايار سنة ١٨٧٣ لم يكل ولا قعد ساعة عن تشجيع مساعيه فعملوا همة
واحتجاده العظيم اكتشف اكتشافات جغرافية ذات اهمية عظيمة ومهد للسياح
سلاعية جديدة وهو الذي حرك الروح الثغابري في السياح بواسطة تجارة العبيد مكات
سبباً لتقدم العالم في عشرين سنة اكثر مما تقدم في ٢ قرناً قلة . وسدوا ايضاً
بالغ السياح في استقصاء بياصع النيل في جهات مختلفة حتى عُرمت معرفة تامة

الفصل الثاني

في مجمل الرحلات الاخيرة

منها رحلة سيك وبرتون قطعاً من الاوقيايوس الهندي الى بحيرة تنغانيقا
فرض برتون ونبي في فارة فضى سيك تمالاً بحسب تعريعات تجار العبيد المهمة
فوصل الى بحيرة اوڤيريوي فما قدر ان يستمر بها ومضى عازماً ان يعود اليها ثم
رجع لاحقاً بالقبطان غرمت سنة ١٨١١ لفصد البحيرة العظيمة التي يصدر منها
النيل فوصل الى اوغندا فاحس الامبراطور متيساً الثغاة اليها فاجناراً ارضه
وركباً النيل الى غديفورو . وسنة ١٨٦٣ فيها السائح صموئيل باكر فافخر

الانكليز سييك قائلين انه كشف بنايغ النيل
واقام باكر بعد ذلك يستفري ضفاف النيل الاررق وهو بطارد الصيد
على تلك الجهات ويقيد تناصيل جلية عن تلك الاقطار المتسعة التي بين ارض
الحبشة والنهر الابيض ومضى ايضا حول جبرار الرسوي المشهور فنانل
الاسود وبينما هو سائر في طريق يجر مرض ومات

وسنة ١٨٦٥ كانت رحلة ليمستون لاستفراء شيري وجوي بياصا وكان
الرلوع (الرواوس) قبل ذلك قد معوه بتعدياتهم عن هذا الاستفراء
ثم رحل دوشاليو واستفري اقطار كونفو الواسعة واراد ان يصل الى
نعابينا من شاطئها العربي آتيا من خليج غيبيا فلم يتوفق الى التوغل
ومضى لوسان الرسوي حاءلا نقطة ترحاله في خرطوم فاصدا ملوع
عابون حيث خرج دوشاليو

ونقدم ايضا في تلك الاقطار الكثيرة الاحطار جبررد رولف الالماني
فاصدا تجديد مساعي رث الحاجة واختراق البلاد الى تمكنو في خلال الصحراء
مارا ببحيرة تشاد وارض بورو

وكان المحر قد شاع في ذلك الزمان ان ليمستون مات في اثناء تجواله
فعزمت انكليترا على ارسال جماعة للتحقيق عليه فوردت اخبارة انه ساع بنجاح
واجتهاد ثم انقطع خبره مدة اربع سنوات منهتت الحمية والهمة بالشجاع العالم
ستابلي ومضى للكشف عن احوال ليمستون فلما وصل الى زيريار جمع قائمة
ونقدم في طريقه في شهر نيسان سنة ١٨٧١ واخبره طويلا لاهل لها هنا الآن.
وفي تلك الاثناء الى سنة ١٨٨٠ رحل جماعة اخرون مثل توينفرت وصموئيل
باكر وكامرون ونجنيغال وبرانسا ولفنون وديبز وفلانر وماتشي ومساري
وسر باشتو وغيرهم

الفصل الثالث

في ايام امريفة الكبرى

اولاً النيل

منذ اقدم الازمنة كانت مسألة فيضان النيل بهم جميع من قطبوا على صفتيه
ليعرفوا سببها وعرف ان اقدم المصريين كانوا يحاولون معرفة مسع هذا المهر
العجيب فقبل ان جماعة مهم مشيت في الارض نحو شهرين الى ما فوق اليمينية
واقامت هناك . وذكر سينكا ان الامراطور يرون ارسل من قبله وقد
يستفرون تلك الافطار فصعدوا المهر الى ان بلعوا عديراً عظيماً مستنقاعاً لم يتيسر
لم سلوكه ولعلته بجبرة المؤ وعلى راي المتأخرين بلعوا بلاد نيام نيام التي
يرونها بحر العرال مع ان السياح المتأخرين منذ أكثر من عشر سنوات
لم يكادوا يبلعونها

ولم نتقدم الى هناك رحلة مهمة قبل اللجنة التي ارسلها محمد علي باشا سنة ١٨٢٩
ماحتاج فنصل فرسا فلم يصادفوا نجاحاً . ثم ارسلت لجنة اخرى تحت قيادة
اربود وسانتي الرسوبين فملعوا من العرض الى ٤٢ ٤٣ ٤٤ . ومن ثم طرقت
الطريق التي فتحوها لكن لم يتجاوزها احد لما منع لاستطاع ازالته الى ان كانت
سنة ١٨٤٩ فطلت الامراطورة صوفيا النموية الى الساماموس التاسع ارسلت

لحفة مبشرين فقلعوا المكان الذي قامت فيه من ثم محلة غدوقورو
ثم سافر مودى وبعده روى كل منها نصفه فنصل سردانيا فصدنا
البل واعتنينا المشقة قل ان تجاوزا الدرجة الرابعة وكذلك حصل لاثنتين بعدها
غير ان اندريا دونو التاجر المالطي تقدم اكثر من الجميع حتى بلغ الدرجة
الثانية فوق خط الاستواء . ومع كل ذلك لم يكن الحاج على تقدم الى ان قام
سبيك ورتون وقصدا الوصول الى المبحرات الكبرى التي ينشق منها النيل
أخذين من حفة اخرى بمصبا في الطريق التي يمضي بها نهار العرب من زيريار
فلمعا بحيرة تعاقبا وكان قد اخبر بوجودها المرسل اليسوعي البرتوغالي لويس
ماريانا في القرن السابع عشر

وسمع سبيك ورتون من نهار العرب بوجود مجموع مياه فصح لم يكن
بحراً واقع في الجهة الشمالية ولا تعرف حدوده وكان رتون قد مرض فتركه
سبيك في قارة ونوجه نحو المكان المذكور وبعد مسيره ٢٥ يوماً رأى من راس
هضبة مجموع ما يجه الى الشمال وكان منسجماً جداً فلم يستطع دخول هذا
الشعر والضواف فيه لسوء اخلاق الاهالي فعدل عن عزمه اذ ذاك ومكره ان
يعود ثانية وقد عرف انهم يسهون ذلك البحر ياراً أوقيريوي

هذا الاكتشاف المهم حرك جمعية الجغرافية في لندن وعزمت على ارجاع
سبيك للوقوف على هذه البحيرة العظيمة وارسلت معه القبطان غرنت وامدتها
مال كثير . وارسلت الحكومة امراً الى فنصل حطوطم ان يتقدم في النيل الى
غدوقورو ويلقي السائحين براد وافر وكان المسوع ان هراً عظيماً يخرج من
تلك البحيرة نحو الشمال ولا يكون هذا المهر الا من النيل فاشتهر اسم السائحين
المذكورين وانتشر الانكليز ما اكتشف يسوع النيل على يدها . عبر ان هذه
المسألة التي شعلت الناس منذ ٢٥ سنة لم تحل حلاً كافياً لان الذي
عرف مؤخراً ان النيل اصولاً كثيرة تأتي من الجنوب والشرق والمحسوب
الغربي وتجتمع كلها لتألف مجرى النيل وكانوا كلما عرفوا واحداً من هذه الاصول

يقولون انه سمع النيل والرأي العام كان ان ما يسمى هناك بالبحر الابيض هو
الاصل الحقيقي وثبت ذلك مرحلة سيلك الثانية . وكان يقال ايضاً ان ما يسمى
بالبحر الازرق هو مصدر النيل ثم تحققوا ان هذين الهريين المسميين بالبحر
الابيض والبحر الازرق يجتمعان تحت المحطوم عد الدرجة الخامسة عشرة من
العرض الشمالي وقبل ان يجتمعا بلاد سنار في محريين كثيرين الصهور يرويان
اكبر قسم من بلاد الحشة وهناك ينضم اليها انهر اخرى آتية من مملكة خوا
وبلا دجة . وذكر بعض السياح ان ذلك النهر العظيم يخرج من بحيرة
يقال لها بحيرة الروع محيطها مسير عدة ايام وموقعها الى حوي جبال قنة

وبعد الرحلتين التي امر بها محمد علي سنة ١٨٢٩ و ١٨٤٠ توجهت
الافكار الى النهر العظيم الذي يشق بحيرة الوء الحماة عند العرب ببحر الغزال
وبعد ان فتحت الطرق في تلك الاقطار لدخول تجار الامم رأى الاهالي
انفسهم انهم آله للخدمة وغرضاً للشفاء والحسرات فقلت تقنهم بالا جاب وصار
يصعب جداً فتحل اراضيهم لمعرفة اصل النيل الغربي لكن سنة ١٨٥٦ دخل
تاجر ايطالي في حدود نيام نيام واظهر بعض تفاصيل عن احوال تلك القائل
ثم مضى شوينفرت واقام ثلث سنين بفحص اقطار ماغسة الجبلية التي يخرج منها
عدة جداول يصب منها في النيل ما هو الى جهة الشمال وفي بحيرة تشاد او
نهر كوني ما هو الى جهة الجنوب . وبواسطة عرف كل التلاع الجنوبي لبحر
الغزال

وبعد ان فحص ليفنستون اقطار بحيرة تغايقا والبحيرات الجوية حسب
انه قد عرف بابع النيل الحقيقية وكان قد سمع من تجار العرب ان بين تغايقا
والبحيرات الاخرى اتصالية وبعد ذلك اكتشف سيلك وغرنت وباكر
واخيراً ستالي ان النيل يخرج من بحيرات عظيمة تتجمع اليها مياه الامطار العربية
ومياه انهار اخرى صغيرة آتية من الجبال الجوية والشمالية

من تلك البحيرات فكتوريا نيانزا شواطئها مخوفة بالعوج والعليق تمتد

وراءها عابات كثيفة من القصب ياوي اليها مرس الماء بكثرة والعوض يكثر هناك حتى يكون كالسحاب والفتائل المجاورة لها ختسة الطباع جداً سيئة الجوار وارتفاع موقعها عن سطح البحر ١٠٩٧ متراً ومساحتها نحو ٢٤ ألف كيلومتر مربع وفي أيام الحر تقل مياهها بالتبخر فتتقص نحو ٢٥ مليار متر مكعب وبها قطع كبيرة من الأرض على هيئة جرر وتشتد بها الأنواء بسبب المد والجزر ولها محرى تتصل ببحيرة أخرى كبيرة اسمها موناسنج وهي في حصص حل اسمها جمارا علوه ٤ مراهلة بص اعنيا وينصب الى مكتوريا نهر عنيف المحري يسمى الكسندرا عرصه ١٥٠ متراً وعمقه ٤٠ وهو يجمع من ١٧ بحيرة صغيرة وهذه البحيرات يشنها كلها نهر يخرج من بحيرة اسمها الكسندرا يبارا ويصب في بحيرة ويدريبر

ومن البحيرات الكبرى أيضاً بحيرة كويا نصب مياهها الى بحيرة أخرى كبيرة اسمها ألبير يبارا حولها جبال عالية تمتد من شاطئها الجنوبي عانات طويلة عريضة من الردي

ثانياً نيجر

كان القدماء لا يعرفون حقيقة هذا الهر وخططوا كثيراً في الكلام عليه حتى اوضح معورك ولينغ وكالبي معرفة مجاريه العليا والاخوة لندرا مانوا تفاصيل كافية عن مصو سنة ١٨٣٠ وقد هلك بسبب هذا الهر كثير من السياح لصعوبة المسلك في انظاره . مهم سوني وريسون وادم ورنلي وكورلي ومنغورك واندرسون وسكوت ولينغ وكالبي هولاء ماتوا بسبب الماشقات . وكلازون ورنشرد وجون لندروغيرم قتلوا قتلاً . وسنة ١٨٥٢ اقطع رث الصحراء وبلاد السودان ووصل الى النيجر ومن هناك اخترق البلاد وبلغ تمبكتو . وغما

نحوه سياح اخرون فلم يهاوزوا سيعو لان ملكها منع توعل الاجاب في اكتشاف
البلاد خوفاً من موذم التجاري

ويجتمع النيجر بنهرى تلميس وليفنة ومن ثم يسمى ذبولي ما يصير منها بالنسة
الى البلاد التي يشنها ولا سيما في نخارة فرسا لانه يراوح هر سعال الذي
تجري فيه السمس مسافة الف كيلومتر ويجازي مجراه بحرى النيجر الاعلى على
مسافة ٤٠٠ كيلومتر وتجري السمن في البحر مسافة ٢٠٠ كيلومتر وبهذا تسهل
الاتصال بين سعال والسودان والصحراء . والاقطار التي يشنها البحر خصه
متنوعة المحاصلات . وعرضه في قسمه الاعلى نحو ٦٠٠ متر وسيره عبر عنيف
في الصيف وعلى صغته معاور رملية ويمكن سير السمن التجارية فيه هالك . وبعد
ان يجتاز بلاد سيعو يشق سمسديع ثم يدخل مسيبا وتتل نعرجائه وبحري في
ارض مستسيلة ثم ينعطف الى الشمال الشرقى ماراً بمحدود الصحراء وينتهي الى
الجنوب الشرقى قبل ان يلع جاجو قليل . وجاجو قصبة قديمة لملكة سرحاي
وبعد ذلك بحري في بلاد خصه كثيرة القائل وبعد مسافة بعيدة يصل الى
قناق يصب اليه هر ريمما ويكون واسطة الاتصال بينه وبين بحيرة تشاد بواسطة
مدينة قابو . وبعد ذلك يصعب ركوبه لعنف مجراه ولسبب تلالاات بوضه .
ومن هالك تنصب اليه عدة حداول . وبعد ان يجتاز بين حمال قوبو ووليم
يصب اليه هر سوي . وبعد ذلك يمر بمصايق اغمي وينعطف قليلاً نحو
الجنوب الغربى ويصب في الاتليك بمصايت عديدة تتألف منها ارض كذلنا
الليل . وطول مجراه عموماً ٢٥٠٠ كيلومتر

ثالثاً كونغو

ويسمى زيري ايضاً وهو نهر عظيم اول من قصد استقراؤه البرنوعاليون بعد ان استولوا على المكان الذي ينصب منه الى البحر غير ان عنف جريه منهم عن التقدم فيه . ثم تقدم بعض السباح الى وسطه وكشف بعضهم بحيرة عمدة في الداخلية . ثم دخل الايطاليون في الاقطار الداخلية التي يجري فيها وعرفوا انه يخرج من بحيرة اسمها زيري وهي بحيرة مويرو التي اكتشفها ايفستون في رحلته الثانية . ومن هناك يشعب منه فرع الى الجنوب ويدخل في تلاع زمبزر ثم استقراؤه ستانلي استقراؤه حساً وعرف اقطاره

وهو نهر كبير فسيح عميق يسمى الاهالي باسماء تدل على شدة هوله عندهم كالمنلع والمفرق ونحو ذلك ويتدفق منه في الانلتيك كل تايبة ٥٦ الف متر مكعب وتنصب اليه عدة انهر

رابعاً زمبزر

هذا النهر يصب في ترعة مورمين بين ماد كسكر والبر الافريقي ومباهاه عند المصب عميقة وتكثر المستنقعات على ضفتيه فتولد حميات وحشرات مهلكة وكان معروفاً منه القسم الذي بين ساحل البحر وقرية نيني وهذا القسم كان بركة تزار العبيد واما القسم الباقي فاكتشفه ايفستون وعرف به تاللات فكتوريا العظيمة وتنصب اليه عدة انهر صغيرة ويبص مرتين في السنة ويجري قسم منه في سهل طوله اكثر من ٢٠٠ فرسخ وقسم في ارض مستوعرة يصعب سلوكه فيها

وعرضه في بقعة منه قبل الشلالات ألف متر ثم يهوي في هوة عميقة فيرى بها ضباب كثيف ويتصاعد من هناك خمسة أعمدة من البخار صاعدة في السماء وتنزل على الأرض كالطر وهو منظر غريب وبعد ذلك يجري في أرض خصبة لا يفتر. وطول مجراه ١٤٤٩ كيلومتر وكل ذلك القطر كثير الحيوانات والسات والادغال هناك الفيل والجاموس والكركدن والعزلان بكثرة والابنوس المتنق ونحوه ونحوه في طبة فسيحة من الأرض وسنة في العائدة الى اواسط افريقية كسبة الطوبة الى اوروا والامازون الى اميركا الجنوبية

الفصل الرابع

بوادي افريقية

مها البادية الرملية العظيمة المعروفة بالصحراء ممتدة من الساحل العربي من افريقية الى الساحل الشرقي من آسيا الى من الاثنيك الى بحر يابان وتليها في خطها بادية ليبيا وبادية العرب وبوادي فارس وبلوختان وبحاري ثم بادية قوبي الكبرى. وصحراء افريقية طولها ٤٨٠٠ كيلومتر وعرضها ٢٤٠٠ ومساحة سطحها قريب من مساحة سطح اوربا كلها. ويقال انها كانت في الزمان القديم مجراً مرتفع قعره بارتفاعات طبيعية وعلا اوسطة الى ارتفاع نحو ٤٠ متر فوق افطار جبال الاطلس ويحصر بالندرج. وتحتنها كتبان كثيرة من كل وجه وفيها ايضاً جبال متنوعة وصخور عظيمة وقد نرت فيها مع ذلك بقع قليلة متفرقة يسمونها الواحات فيها شيء من الماء والحصرة. ويسير

الانسان في رمالها الكثيفة وصخورها الصلبة ايّاماً طويلة لا يرى حيواناً ولا سائناً ولا طائراً واسعة الشمس تنقص عليها كلب الاناثين فان ثلثة ارباع سطحها في المنطقة الحارة وتبلغ درجة الحرارة في رمالها الى الدرجة ٧٠ من الميزان المعروف بالسنتيكراد. وتهب فيها الرياح المعروفة بالسوم فتتسبب رمالها وتقلعها كالهصاب من مكان الى اخر وهي توج وتدور كتيارات البحار وعند اقتراب العاصف من القافلة تنام الابل على الارض لتلا تحملها الريح والانسان يعطي وجهه وبام في ظل بعيره او يهرب الى حب مخنور هناك اذا اتفق له لكن النجاة نادرة جداً وقد هلكت قوافل عديدة من حرارة الرياح وتراكم الرمال عليها واحياناً تكشف عنهم الرمال بريح اخرى فتظهر فبايهم الدالة على نكبتهم. وكثيراً ما يجرى العبار الحياتيم والرتة فيوقف عليها والريح الحارة تجل دقائق كربتية تسد الفتحة ولشدة حرارة هذه الريح وجفافها تنقص ماء النبات الذي تصادفه وتضعف الآبار التي فيها شيء من الماء والقرب الملوثة ماء المعلقة في الرحال فيتلف بها الحيوان ويدل النبات وقد ناتي الاعصار بالرمال كاساطين ضخمة قائمة في الهواء تدور على قواعدها فلو صادمت عسكراً التفت عليه كالحبة واهلكته عن اخره. والصحراء بالحقبة اوقيانوس من الرمال منوح ودواويل شديدة هائلة طالما قاست مصر اخطارها الشديدة وليس لها حاجر يمنع تقدم الرمل في اقطارها الا الليل

وقد توجد في الصحراء آبار قليلة متفرقة ما دام الماء فيها ترى منازل القاطنين محدقة بها وطريق القافلة عليها فاذا صب الماء انتقل الاهالي الى مكان آخر وغبرت القوافل طريقها لتلا تهلك عطشاً. ومع ذلك تسقط الامطار في ايام معلومة تخفي سانات الواحات وتحيا بها الماشية. والامطار تسقط كالانهار وقد تستمر شهراً كسيول متدفقة. وكثيراً ما تملك الناس والهائم بسبول الجمال. فاذا طلعت الشمس تكون الرمال قد امتصت اكثر المياه والشمس تجف الباقي وتكون المياه المنصة بالرمال في جوف الارض على اعماق مختلفة

كجهرات متسعة

ومن بوادي افرقية ايضاً صحراء ليبيا تمتد من خلف حمال طو الى وادي
 الليل وقد ابتلعت رمالها ابنية كثيرة قديمة في الواحات التي على جانبها . وقد
 حاول السياح اجتياز هذه الصحراء منذ خمسين سنة فلم يقدروا حتى اقدم عليها
 جبردد رولف فخرج من اسبوط سنة ١٨٧٤ مامدادات من خديوي مصر
 وقاسى اشد المشقات حتى وصل الى واحة يقال لها الداخلة فاراد ان يتقدم منها
 الى الواحة النفرة فلم يقدر ان يتعلم على قوى الطبيعة فمضى سنة ايام في رمال
 منهوجة متخلفة وقابل كتباً ما ارتفاعها ٤٠٠ قدم متوقف وسنة ١٨٧٩ ركب
 طريقاً آخر فخرج من واحة جالو الى الجنوب الشرقي من ولاية طرابلس وبعد
 تسعة ايام بلغ الواحة النفرة المذكورة

ثم وصل غيره الى واحة سيوا فلم يقدر ان يتجاوزها فالواحات التي بلغ اليها
 السياح هي الخارجة والداخلة وفراة وسبوا وعروا عما وراءها وقد طن الجعرايمون
 انه يمكن بلوغ اواسط صحراء ليبيا من جهة السودان الجنوبية

ومها بادية قلعة حاري الى جنوبي بادية ليبيا نعد عنها خمسين درجة
 وهي تمتد من الاثنتيك الى الدرجة ٢٠ من الطول الشرقي ومن هر اورنج الى
 بحيرة بحاي ليس فيها محرى ماء والنبات نادرة جداً لكن السات فيها كثير
 واهلها عديدون وفيها ادغال كثيفة من التمر وهي سهل مسطح مستوي يكثر فيه
 نر الوحش والنع الرملية فيها كثيرة متسعة الجواب واذا وقع المطر استمر الماء
 عدة اشهر في محاري انهر قديمة عميقة لا ترال جافة قبل المطر ولا تجري به
 لكن قد تنصي سنة بعد سنة ولا ينفع فيها مطر الا ما بدر جداً ويكون الهواء فيها
 جافاً جداً حتى لو بقي الحديد المصقول في الغراء اشهر لا يعلوه الصدا ويذبل
 ورق النخيل وسائر السات ويهلك كثير من الحيوانات الالهية وتهرب الوحشية
 الى اقطار اخرى الا ما كان من بقر الوحش يصبر على الماء اياماً . ويتنقل
 القاطنون هناك الى الاقطار الشمالية

الفصل الخامس

بلاد السودان

هذه البلاد عبارة عن القطر السحي الواقع بين الصحراء وسحبها وسلسلتها
جبال قوحي وقوبو ومجاهل أواسط افريقية ودارفور وما على خط الاستواء من
بلاد مصر. وقد دعاها لاون الافريقي عريسيا اي بلاد العبيد اي السود. وكان
رث اول من افهم تلك الاقطار الخطرة فتنزع بعده بعض السباح فيهم من
هالك ومهم من قاضي اتد العذابات مفتحين حتى قلب تلك البلاد فامادوا
العلم فوائد جليلة نتاجها فعرفوا ما فيها من العبي والحصب وان اهلها ليسوا فئائل
متوحشة كما كان يظن بل اهل مالك واسعة الاطراف عديم مبادئ ومن
التمسك والسياسة ولم تاربح وآداب وحضارة تفريقهم من بعض شعوب اوربا
وقد اوضح نخيغال وماثيني ومساري ولنس امورا كثيرة ما يتعاقب سوربو
وباحري ووداي ودارفور

وكان السح عمر صاحب بوربو قد احس الالتفات الى سياج المانيا حين
دخلوا بلادها فاورد اليه الملك عليهم امراطور بروسيا الدكتور نخيغال بهذا
ميسة تنكرا الى احساياه فاكرم السح عمر ومادته واعانه في حوب الاقطار
المجاورة في مدة خمس سنوات متتامة فانصل الى وداي حيث قُتل موحل
وبورما قتلته وشق في بلاد دارفور وكانت اهلها معلنة عن اهل اوربا

واقام نخيغال مدة في قوفا قاعدة بورنو فقرر عنها تقارير مفيدة هي
على ما افاد واقعة على مفرقة من بحيرة تشاد في وسط سهل ليس خصباً طبعاً
غير ان الاهالي جعلوا فيه سائين حسنة حول بيوتهم وعددهم كان يبلغ ستين
الآل على عهده وعندم نشاط في الصناعة والاشتغال في العلوم واتصالهم التجارية
كثيرة في الاقطار. وكان ملك وداي قد غرأ هذه المدينة وخرّبها فاعيد ساؤها
منذ بيف وثلاثين سنة

ومن هناك رحل الى كانتم قاعدة مملكة بورو الاصلية موقعها على الشاطئ
المقابل من بحيرة تشاد وبعد ما رجع الى قوفا سافر الى ماجري وهي مملكة الى
جنوبي تشاد شرقها وداي وهي من لواحقها وكانت المحرّت بينهما منذ عدة سنوات
وجنوبها بلاد اهلها وتيمون واما اهل ماجري فمسلمون والمملكة حديثة النشأة
اي منذ نحو ٢٥٠ سنة. وبعد ذلك سافر الى وداي مصحوباً بوصية من الشيخ
عمر فاقام بها تسعة اشهر وهذه البلاد مساحتها كربع فرنسا تحاليها بلاد التبوع
وغربها باجري وبينها وبين دارفور ثغرة يسكنها القبائل الغصاة واهلها
لا يخافون المليون وهم عرب رعاة ومهم من سلالة التبوع

واما دارفور فلم يعرفها قبل نخيغال من الاوروبيين الا جورج مرو
سنة ١٧٩٢ والافطار الاخرى كانت مجهولة فبرحلة نخيغال عرفت اماكن
كثيرة بين تشاد ودارفور واتصل الى العرب الاقصى من ارض السودان
المصرية. وعرف احوال تشاد ايضاً وعرف انه كان يشقّ مهاهر اسمه بحر
الرجال ويصبّ في بحيرة اخرى على مسافة نحو ستة كيلومترات الى الشمال
الشرقي في بلاد بودلي واما الآن فلم يعد هذا النهر موحداً وكذلك بحيرة
بودلي. واكتشف ايضاً عدة بحيرات صغيرة على حدود ماجري ووداي فظن
انها نفايا بحر قديم

ولما رحل مانشي ومساري قطعاً افريقية كلها في سنة وخمسة اشهر ودخلا
دارفور عن طريق مصر العليا وعرضا على دخول وداي ورعاها بمجايتو السلطان

علي الى حدود بورنو فلم يقدرا ان يدخلوها لما كان فيها من الحروب الاهلية
فخصبا الى مملكة حوصة موجداهما بامية عامرة بالحصارة واهلها اهل نشاط
وحقق في الاعمال وقاعدتها مدينة قاموا عليها خمسون ألفا وازقتها مستقيمة
واينيتها حسنة وفيها مدارس وتجارة وصناعة مختلفة . والدين فيها الاسلام
والسلام فيها والاس والاحسان الى العريب في درجة منازة عن سائر افريقية
ولما رحل لنس قصد دخول تمكتو عن طريق الصحراء فخرج من
مراكش اصفة طبيب عثماني وحاج الصحراء بسلام ودخل تمكتو واقام فيها مدة
وعاد عن طريق سعال وقرر عن نجاح تمكتو من عهد رث تقريراً حسناً
فوجد ان اهلها راد عددهم من ١٢ الى ٢٠ ألفا وصار فيها مدارس ومكاتب
عمومية وصارت حاضرة تلك الاقطار المهدقة بها من جهة الدين والعلم والتجارة
وبالاحمال فلاد السودان كثيرة اسباب النجاح لكن المحتونة عالة فيها
والعلم ليس له اثر حلي والاستعباد فيها يحط مقام الاساية ومركزها بين الصحراء
والقبائل المتوحشة في اواسط افريقية وعلى حدودها بطن مارتقائها في سلم
الآداب والراحة



الفصل السادس

افريقية الجنوبية

مد اوائل القرن السادس عشر استوطن الرنوعاليون ساحلي افريقية الجنوبية واستمرت تلك البلاد ما بينهم نحو ثلثمائة سنة وبلا استقرارات الحديثة عرفت تلك الاقطار معرفة حقيقية . فكل ما هو الى الجنوب من خط الاستواء كان يظن قليلاً انه لا يستوطن لفلة ربيعاً واما الآن فمعرفة ان خصبة عجيب الا فيها بدر وفيه امهار كبيرة تنشق سهولة وتروي اغوارها والسات هناك في اعظم نمو على اختلاف انواعه وفيه من الطيور والوحوش ما لا يقدر من اصعراها الى اكبرها والمعادن ايضاً غنية ولا سيما حمى الحجر فانه على كثرتهم سهل الاستخراج واهم معاديه الذهب والاماس وطبيعة هذا القطر من جهة السكان والحيوانات مخالفة لطبيعة اورونا . فالعلم متلاً ليس له صوف بل ور واما الناس فشعرهم صوفي محض والرجال يرسلون شعرهم والنساء يجرزنه وهن يتعاطين الفلاحة والرعاة والرجال ينفون في البيوت يعملون ويسخون ويحملون الماشية وهم حراً . وادا تروج الرجل يدفع لحديه مهرراً والمرأة لا يطالب بها شيء . واهل اورونا يزعم بعضهم ان الانسان متاصل من القرد واما اولئك فيقولون ان النفس تنقل بعد الموت الى القرد واهل اورونا يحسمون اولئك العبيد خشنين واما هم فيحسمون الاوروبيين متوحشين

والشائع ان عقول اولئك صغيرة مع انهم حقيقة اذكي من سفلة الاوروبيين
واللغات عندهم جميلة لطيفة الدوق بخلاف ما يقال عنهم

وكان الانكليز من جهة الجيوب والبرتغاليون من جهة العرب والشرق
يكتفون حقيقة احوال تلك الاقطار الى ان دخلها ليستوف محرك نفوس
السياح لاستئثارها وبذلك تمرق ذلك الحجاب القديم وبعد ذلك ذهبت لجز
خاصة فاقامت على السواحل العربية املاً ان تصل الى الشرقية باجبار
اودية زمير العليا غير انهم لم يصادفوا مجاحاً لاسباب مختلفة ثم رحل سياح
متفرقون واقاموا في جهات مختلفة من التطر الشرقي وقدموا باكتشافاتهم من
لمسوا الى رميز واشهر الرحلات التي استعملت بها تلك المجاهل رحلة سرناسو
البرتوغالي رحل من سعلا في تشرين الثاني سنة ١٨٧٧ ومعه اثنان احراف
واخذوا في طريق اقرب الى الجنوب من التي سار بها كامرون قبلهم وروا
ارض يقال لها كوي لجة اهلها في غابة الخشونة حتى ان المرأة عندهم تباع بقبضتين
من العرق واربع ادرع من الثياب ولما بلغوا بحد كوكدة انفصل سرناسو عن
رفيقه فذهبا لاستقراء الاهل التي تحوي الى الشمال وتصب في ريري فاينما وائند
حمة . واما هو فجمع رهطاً ومضى به لدحول الاراضي التي تصعب فيها سلاية
البض فلما تقدم كان الناس يستكرون امره ويطنون انه مقدم طليعة حيث
اتى لاكتساح البلاد فمر منه الدين استمعهم وقد صار عددهم نحو اربعين
فقتل اربعة اشهر في العداة والمشقات الشديدة بين الاخطار ومع ذلك لم
يصعب عمره وحال في افطار كاست بيد البرتوغاليين وهي حتى ذلك الوقت
غير معروفة جيداً ولم تؤثر في تمدنها موصلات تجار العبيد وفي اهلها على
حتوتهم العظيمة

ولما وصل سرناسو الى نجد كجلة وحد تجارة العبيد فيها في غابة الرواج
وكان يجتهد في تخلص جماعات كثيرة من العبيد الارقاء . وتجاوز تلك النقة
الى ان انتهى الى الاد الامولة وهناك امة من البرابرة يقال لهم المكصكة

يعتبرون ادنى ام افريقية المحوية يعيشون قنائل بلا رؤساء احراراً كالوحوش في البلاد التي بين نهري كوشو وكواندو ودايم الانتقال لا ينامون ليلتين في محلة واحدة وياكلون اصول النباتات ولحم الحيوانات بلا ملح ومن العجيب انهم من سلالة بيضاء نظير البيض الذين رأهم سنالي في حما راجارا على ضفة مواناسنج . ونقدم سرباستو من هناك الى ان بلغ قرية اشتد به الجوع عندها ورفاقه ايضاً فلم يمكنهم تحصيل الطعام لانتهت القرية ووصل بعدها الى بلاد لوباس فاحسن رئيسها الالتفات اليه وارسل منها قافلة الى تنغالا غير ان السودان بعد ذلك وجدوا انه سبب لثلف تجارتهم فاوغروا عليه صدر الحاكم واغروا اناغته بالفرار من خدمته ومعوا عنه الطعام وحاولوا قتله مراراً واحبراً هب اناغته ذخيره ليلاً ومروا الا ان اوراقه بقيت محفوظة . وعلم بعد ذلك ان رجلاً انكليزياً أسر بامر الملك لاونسى في موضع بعد ٦ كيلومتر مضى الى هناك وتداخل مع الملك واستحصل منه بعد اطلاق الاسير فولرب ليركب نهر زمبزي وعرف كل ما يتعلق بالقسم الاعلى من ذلك النهر العظيم والانهر التي تنصل به وتحص احوال البلاد ومحاصيلها واخلاق اهلها وما يتعلق بذلك فاخبار رجائه اصدق الاخبار من هذا القبيل

ومن الاماكن المشهورة في حبوب افريقية صنع استعمرة الانكليز وسي ترسوال اشهر قديماً بان فيه معادن ذهبية وافرة المحصول فتوحيت اليه الخواطر وقصد السباح من كل البلاد . وفي سنة ١٨٦٧ رحل كارل موك وطاف الاقطار الواقعة الى جنوبي لمبو المعروف بنهر التاسنج فوجد آثار اشغال قديمة عليها آثار استخراج الذهب من تلك المعادن ووجد قرب تلك الماكن خرمات انية صممة قديمة العهد جداً فطن البعض انها من عهد سليمان وان هناك معادن اوفير الكثيرة الذهب وذهب اخرون انها من فايامة في اول وصول البشر الى تلك الاقطار . فظهر الآن انها آثار قنائل من العرب استولى عليها البرتوغاليون في القرن السادس عشر . ولما شاع امرها

باخار كارل موك قصدها اللاس وانشت هناك مدينان سميتا ليدنبرج
ومرا فميرنا في مدة قصيرة وانتشر الاجاسب الى مسافة بعيدة منها

وسنة ١٨٦٥ شاع حار نظير ما تقدم فتهافت اللاس الى ملاد يقال لها
غريكند بين جمهورية اورنخ والجنوب الشرقي من ناحية قلعة حاري . وهذه
المقاطعة على ضفة نهر اورنخ في مساحة ١٢٨٠ متراً وهي قليلة الماء جداً وفي
السنة المذكورة كان عدد اهلها ٢٠ ألفاً بعد ان شاع الحار بوحود اللاس فيها
نصاعف عدد سكانها في بضعة اشهر واخذ اللاس ينشون الارض من كل
وجه فوجدوا بعض انبياء دعت الى تزايد اجتماع اللاس اليها

ولم يكن ما حدث امراً حديداً في ايام الحكومة الهولندية سنة ١٧٥٠
وحدث خارطة مرسوم عليها الاماكن التي فيها اللاس فحشرت الارض كثيراً
وحدثت اسباب تنوسيت بها تلك الاعمال الى ان جددت في العهد المتأخر
المذكور . وقد عرف ان الاهالي كانوا منذ مدة طويلة يستعملون قطع اللاس
للتعب لا للتخلي بها فقبل كانوا يحرقون بها الارحية

وسنة ١٨٦٧ دخل احد التجار ارضاً يعملها رجل بويري اسمه يعنوب فراى
الاولاد يلعبون بحصى تنعاف لامعة ومراً من هناك رجل بصطاد العام فاتفق
هو والتاجر على ان يتخاض هذه الحصى لعلها الماسية فحرقوا بها لوحاً من الزجاج
وساموها فاخذ احدهم واحدة منها لكي يبيعها ويقسم ثمنها بين الرجل البويري
ورقيقه فبلغ ثمنها ١٢٥٠٠ فريك . فشاع الخبر بسرعة البرق وكادت الفنة
تنصطرم في المقاطعة المذكورة واتفق ذلك في الوقت الذي فيه انحصت اسعار
الصوف وحدث وباء انتف البهايم

ثم وجد الاوروبيون قطعاً اخر الماسية واتى الكثرة ايضاً فقطع كانت
عندهم من عهد طويل وحينئذ وجد الحجر الشهير باسم كوكب افريقية الجنوبية
اشترى اولاً من احد الكثرة بعشرة الاف فريك وبيع ثلثمائة الف فريك ثم
بلغ ثمنه ٨٥٠ الف فريك فاشتراه اللورد ددلي وفي هذه

وكان يظن ان مصدر الالماس المهران اللذان يصران في هر اوريخ ونهر
وال ثم علموا ان بقعة في قلب البلاد فيها كميات وافرة مروى عن خبرها
ما ياتي

كان رجل درسوي الاصل في بقعة من الارض يعملها فاعلم بما يحصل له
من محصولها فاتفق يوماً انه رأى جماعة عليهم هيئة الكهان تدافعهم ارضه اقتحاماً
مريباً ولم يكن له اطلاع على ما جرى من اكتشاف الالماس في المهر كما مر مخاف
منهم لانه ظن ان قصدهم اكتساح ارضه وطرده منها جميع كل ما كان له من
الحصيف والتفيل في عجلة وقر في جوف الليل وهو يبدب سوء حظاً وبعد قليل
اهتدوا الى مكانه وانوا بضالون اتباع ارضه ولشدة خوفهم لم يشاء ان يقابلهم حتى
اقتنعوا بالمرهان ان مرادهم احد الارض يملع برصيه وعرضوا عليه ١٢٥ الف
فربك ذها فاطأ قلبه واجابهم الى طلبهم ففعلوا الارض انفساً مرة وصاروا
يحمرون فيخرج لهم الالماس مع التراب وعدل المحصول السوي ماكثر من ٢٢٧
مليون فربك لكن كانت الصعوبة شديدة في الاقامة تلك الاراضي الفقيرة
الخالية من الماء والنبات فكان الذي عنده شر في احدي جهاتها يبيع الماء
تفلاً وقصة قريباته وكان يلزم استئجار الحطب من اماكن بعيدة جداً حتى ادخلت
آلة تجارية سنة ١٨٧٥ وكان طن حم الحجر يكف من انكثرا الى عريكلد
نحو ٢٠٠٠ فربك والهواء هناك شديد التعير فالليل في اشد البرودة والهار
شديد الحرارة والعواصف لا تطاق لعسا والرد والرق يكونان هائلين جداً
وكهر مائية الجو في عابة السرعة والكثرة حتى لو مرت اساس المشط في شعر
الراس تولدت الكهربائية وتاتي الرياح الحارة تعار كثيف كالصباغ المنتشر
فيحرق الاعين والخباشيم فلا يستطيع الاقامة هناك الا الجلود الذي يساعد
التوفيق ولذلك صار من الدور استخراج الالماس . ثم عقدت شركات عظيمة
واتخذت وسائل مختلفة لتسهيل العمل خففت عنها المشقة من جهة لكن خابها
اللعنة من اخرى فانهم كانوا يسرقون ما يستطيعون رعباً عن التشديد في المحافظة

والصرامة في عقاب من يشعرون سرقة فليل ان معدل ما كان يسرق يومياً
من الاملاس يبلغ ٢٥ في المئة

وما يذكر في ما تجاوز عريكند الى المحوب تربية العام وذلك في مواضع
على نحو مربية يقال لها المحوب حدة لكن لا رمل فيها واقعة الى المحوب من
هر اوريج وطريقة التربية ان توحذ الامى مع رثالها . ناع ماكثر من مئة
فريك . وادا لم يجد المشتري انى تستخدم لثف البص طريقة صاعية كما
يعلمون مثلاً في بلاد مصر يبص الدجاج . وتوضع الرثال اى الراح في
حظيرة مسجة فاذا صار عمرها ثلاث سنوات ياخذون من رينها ما يوافق
للخارة فيكون محصول الريش السوي من ١٠ الى ١٥٠ فريكاً عن كل
فرد سها وقد اتسعت هذه التجارة جداً حتى قيل ان بعض البوت التجارية
تصدر كل شهر عشرة آلاف كيلو من الريش

وامل تلك الاقطار العجيبة صمان متافضان احدها آخذ في مراعي
التمسك ويقال لهم الويرة والآخر في اقصى درجات التوحش وهم الويسمان
اى انسان العائات لانهم يعيشون كالوحوش في الادعال والعباض
فاما الويرة فهم من سلالة المهاجرين الهولنديين قديماً حين كانت ولاية
الراس من املاكهم فلما غلب عليها الانكليز اسوا من الفناء تحت سيادتهم هجروا
بلادهم وانشأوا مستعمرات نانال واوريج وترنسوال . وانصم اليهم مهاجرون
فرنسيون طردوا من بلادهم على اثر مؤتمر ست فتآلفوا جميعاً وناسلوا وخرجت
مهم احيال شداد البنية كثار الاحسام ولم يبقَ عنهم من الدين الا اثر قليل
فينصون ايامهم في الصيد على الحبل ويرعون المواشي في مراعي حصنة منسعة
لا ينعهم منها الوطنيون وصار من عادتهم ان يجتمعوا في الكبسة مرة في السنة
وهذا الاجتماع ياتي الناس من كل الاقطار واطراف البلاد ويستمر اسوعاً .
ومن عادة الويرة ان يجمعوا الذهب في مازلم ولا يشتعلون به ويتوارثونه من
احيال قديمة فقد يكون عند الواحد مبالغ حسيمة يكثرها في اماكن لا يعرفها غيرهم

ولهم في الحرب قوة وحاد وحسن تدبير وكثيراً ما ضايقوا الإنكليز في
حربهم الأخيرة معهم

وأما سكان الغابات فهم مودج الإنسان في أول أجياله المتوحشة فانهم في
أدنى درجة من سلم الأمم ومجسوس أدية على الفئائل المحاورة لهم فلم يرل الناس
يطردونهم من قطر إلى آخر حتى استقروا في ناحية قاحلة يباب لا ينبت فيها
الأقليل من العويع وهم صغار القامات يخاف الأبدان حداً هيشهم وحشية
اقرب إلى الفرود الكفار ما إلى الإنسان. لا لباس لهم إلا أراار اللصص من
جلد الحيوانات يسر عورتهم وليس لهم نظام نشري ولا صناعة ولا زراعة ولا
مواشي يعشون من السبذ والسرقة وقد يقصون أيا ما طويلة في المجاعة فيعززون
حيرانهم تحت الاخطار ليحصلوا ما يسدون به الرمق. والقائل الثرية منهم
يعاملونهم معاملة وحوش مصرة فيصطادونهم صيداً ويقتلونهم بلا سب ولا
مبالاة وكثيراً ما يستعد الويرة من يحصل يدهم منهم لأن لهم مهارة في وجدان
الحيوانات الأهاية إذا ضلّت. وطريقة أسرهم انهم يرصدونهم ويخناطون بمنازلهم
وفي الكواح حنبرة حداً ويطلقون المادق فيخاف المساكين لأن صوت البارود
يرعهم حداً فيفنون في أماكنهم لا يستطيعون الفرار فيقصون عليهم ويلاطونهم
أولاً ويعطونهم راداً كثيراً مختلفاً فيعترون ويمسسون معهم إلى الكفول وهالك
يستخدونهم لعل الأرض بالقوت الضروري

وليس لهؤلاء الوحوش عيال معروفة فلا يعرف الولد الأمه حتى إذا ترعرع
تركها وتركته والذي يتبعهم ويعجز لا يلتصق إليه أحد فيبوت حوفاً أو تنترسه
الصواري

ولسبب تنافس الدواة والجوع ونحو ذلك يكادون يفرصون في المحمة
الشرقية من ناحية قلعة حاري وأما الدين إلى عربها فيستخدمون لشدة مهارتهم
في سلوك العياض والأدغال فيعيشون عيشة حسنة مع من يجاورهم

الفصل السابع

في الافريقيين عموماً

ان الاختلاف الذي بين القبائل الافريقية وعاداتهم ولعائهم ليس اقل ما
 بين محاصيل اراضيها المتنوعة . وينسبون عموماً الى قسمين سود وسمر وقبائل
 السمر اكثر بكثير من قبائل السود الاصليين ولا يزالون يزدادون عليهم
 ويستعرفون معظمهم وقوام الغلبة اعظم من قوى السود . والدين في غرب
 افريقية من السود قد دخلوا حداً لا يراهم بالمسكرات . والهيئة الاجتماعية عند السمر
 حسنة النظام حتى ان بعض شعوب اوروما يحسبون دون بعضهم
 وفي افريقية كل انواع الحكومات من جمهورية ومطلقة ومشيخة ومجلسية
 حتى ان عند بعضهم رئاسية وحاصلة مبنية على نظم اصولية حسنة المبادئ
 لكن هذا محصور في قسم صغير لان الافريقيين اجمالاً كالارقاء لاهل السيادة
 والمرأة عديم منخلة المقام حداً تستخدم للاعمال والاحمال وتناع كانها من
 اصناف التجارة ولا تعتبر زوجة حقيقية وقيمتها بكثرة اولادها . والتي لا تستخدم
 في الاعمال الشاقة يكون مقامها كمقام البهيمة التي يرام لحمها ولبنها وهذا بحسب
 اكراماً لها كما تكرم البهيمة بحسن المعاملة
 لكن في بعض الاقطار السودانية مثلاً وماوجها تكون للمرأة سيادة خاصة

خلافاً للشعوب الأخرى حتى أن الحكم يكون بيدها في بعض الممالك فملكة
روندة مثلاً بين مونا نسج ومكتوريا يامرا فتحكمها امرأة قائدة بجاحها وسلامها
والطامات العسكرية في أفريقيا ما يستحق الذكر مع قطع النظر عن
القنائل العربية والحشية المعروفة أحوالها فينصي العجب من ينف على عسكرية
بعض ممالك السودان ولا سيما ملكة أوجندة تنالي فكتوريا فتد ذكر سنالي
تأكيد أن عسكر الامراطور متيسر كان في بعض حروب مولانا من ١٥ ألف
منازل و ١٠٠ ألف بين ساء وأولاد وعبيد والمعسكر كان مشتتاً على ثلاثين
ألف مخيم كلها بنيت ساء حسناً في ساعات قليلة يبيت فيها ٢٠٠ ألف نس

وبعض ام أفريقيا تستحق الذكر الخاص لعراة أحوالها . فالقنائل
الفاطيين على صفاف النيل الأعلى الكثيرة المستنقعات تناسب صنائهم أحوال
الأرض التي يعيشون فيها هم بالسنة الى الشر كالطيور المائية بالسنة الى
الطير فطول اقامتهم في المستنقعات قد صارت ارحلهم معالمة يتكون بها من
الوقوف على الأرض الوحشية ولا يعرفون كما تكون الطيور العشائية الارحل في
الماء . وسوف دقيقة طويلة ليس فيها لحم ورؤوسهم صغيرة مصعطة ورقابهم
طويلة وينفون ساعات على رجل واحدة برصدون السمك ليصطادوه وإذا
مشوا تكون خطاهم بطيئة تسعة لطول ارحلهم

وأما اهل أوجندة فعكس هؤلاء مع أن المسافة بين البلدين ليست طويلة
فانهم حيرائهم ومع ذلك فهم اهل نحاح ومعرفة وهيئات حسنة . وبحاسب هؤلاء
في جبال جديرا حاقلة من البص انت من اوبورو وتداخلهم في الانساب
مع القنائل المحاورة لم اختلف طبيعتهم وتغير لونهم بالتدرج عبر أن الاشراف
منهم لا يتزوجون الا من انفسهم ولذلك قد بقوا على اصلهم . وهؤلاء القوم
لا يحبون الحروب ماقبل فتنة بلحاًون الى تواج الجبال بين التلوح فلا
يستطيع اعداؤهم لحاقهم فيخفونهم لانهم جبناء

واقام شويغرت بينهم مدة وعرف بتدقيق أحوال الطائفة منهم المشهورة

باسم نيام نيام التي ذاعت عنها حكايات مختلفة فكان يقال ان لم اذنانا والحق
ان هذا المظهر ناتج عن زيم في الملس وذكر شوبيرت انهم اشد فطنة من
السود وشعرهم غير صوفي بلقوة غنائص وهيشهم بعيدة عن هيئة سائر جيرانهم
وعيونهم كبيرة مشفوقة على شكل اللوزة وحواجبهم كثيفة وانهم مستقيم عريض
مستور في كل علوه وبذلك يفرق هؤلاء عن سائر اهل افريقية وهم يحسون
الحرب والشغل والصيد ولم في ذلك حكايات . واكل لحوم البشر مشهور
عندهم استدلل على ذلك بكثرة المراقبة وعرف ايضا ان منهم عدداً قليلاً
لا يأكلون لحم اعدائهم

وبين الدرجة الاولى والدرجة الثانية من العرض الشمالي الى جنوبي ارض
نيام نيام مواطنة يقال لها العفاء وهم صغار الاحسام جداً ولم في الحكايات
والسير المتعلقة بالباط افريقية مكان عظيم . فاداسافر الانسان في البيل
الاعلى ووصل فوق غندوروفو وسار في بهر حور او طاف في حوار آثرت
نيابرا يقول انه رفاقه من اهل اللاد انه سبري في الباط افريقية قوماً من
الفرم يعتبر صونة بخصوصات شديدة . ولم في الصيد مهارة وحذق واقدام حتى
يهممون على الليل يرمح سبط كائهم بطاردون غرلاً . فاذا دنا احداهم من
الليل يرمي سلة في عبوة ثم يعمس تحت بطو ويطعمه بالرمح ويهرب بسرعة
قبل ان يصل اليه خرطوم الليل وهم الذين يصدرون على الاكثر العاج الوابر
الى ارض السودان المصرية . ولا يبلغ طول الواحد منهم اكثر من ذراع ونصف
غير ان شوبيرت سعى بينهم وهو يقيس الاحسام فوجد ان اطولهم لا يبلغ اكثر
من متر ونصف ويتفخر حكام السودان ان يكون من حملة خيشهم جماعة من
هؤلاء للتفكه باعمالهم

وبالنظر الى التركيب الطبيعي يقال ان الاسود ارتقى في الاعمال البدية
من الاوروبي الآن عصلة غير قوي . واما بالنظر الى القوى العقلية فالسود
في ادنى درجة بالنسبة الى البيض لانهم لا يعرفون الا المالا في الحسنة ولا يههون

من الافكار الا ما نتجته مادية وتاثيراتهم اذا حدث حادث تكون عرضية قصيرة الوقت ويوصفون سلامة الطوية وعدم التعرض للاذى في الاماكن التي لا تنسد بها طائهم ولا يجههم تخار العيد واذا احسن اليهم تحسن خدمتهم وتطيب اسمهم جدا ومن عوائدهم المستنجة التي تشع بحنهم وتردى بها اجسادهم استعمال الوشم والتخديش والقطع في بعض اعضائهم ثم دهن رؤوسهم وابدانهم بالتراب اللرج والادهان استمرارا حتى تولد في ابدانهم الهوام بكثرة عجيبة لتراكم الاوساخ وكنهمون مهم يدخنون ابدانهم شحم ورماد لا تقا. لدغ الحشرات والخلاعة في بعض القبائل مطرية. وفي جهات النيل الاعلى يخذون اطيابهم وادهانهم من روث النر ويولون الرمد ويسلون آية اللان ونحوها سول البئر استعاضة عن الملح لعدم وجوده عندهم

والوشم والتخديش امر عام عندهم وتخرج ابدانهم بمخطوط طويلة وقاب حافتي الجرح الى الخارج يورث انرا تحييا فيحيا ويتقنون آدابهم ويكبرونها بطرق مخالفة لطريقة هود البرازيل ويعلمون فيها ادوات مختلفة وكذلك تعمل النساء بانوهن وشماهن وقد يعلنن في الشبتين قطعاً مستديرة من الخشب وكلما كانت المرأة بارعة في التبرج والعج تكون الخشبة اكبر. واحسن الحلي عندهم الفلاند. واكلة لحوم الشر يخذونها من اسنان القتلى واذا لس الانسان فلادة من اسنان من قتلهم بيده كانت قيمتها كبيرة جدا

والعاج في تلاح نهر كوهو كثير جدا ومحس الثمن لان الثمار لم يتصلوا الى تلك الاقطار وبه تقوم حلينهم ويعلمون منه اساور وخلاخل وادوات كثيرة لا طائل نحتها. وذكر ليمستون وكامرون وسنالي عند دخولهم ارض ميامة ان نصف الكيلو من العاج كان يساوي اقل من غرش

وفي وادي زمبزو بعض تلاح كونغو الاعشار الاول للادوات الخشبية والنساء يكثرن من التحلي بها حتي يكون على الواحدة ما وزنه ارسون ليرة. وقد يكون ثقل الطوق النحاسي وهو حلقات عديدة تلف بها العنق اكثر من ١٥

كيلو ولذلك اذا ماتت المرأة يكون اول ما يعله زوجها انه ينقطع راسها لينفى
له الطوق

ومن غريب عاداتهم حمل اسانهم ذات رؤوس حادة اما لسهولة علته
الخصم خصمه اذا تدايا في القتال او لسهولة مصع اللحم اليه . وعلمية ذلك تقوم
بان يام الطالب لذلك ويضع فاهه ويضع فيه خشة لينة لئلا تنكسر السن
بالعلمية . ويركب العامل على صدره وباخذ سكيناً حادة جداً ويصعها على جانب
الس ويصرب عليها بحجر ضرباً خفيفاً حتى تنفصل الشظية المراد نزعها من
السن وتصبح بالشكل المطلوب وقد يردون حواشب التواطع بحر المرد
بين كل سبعين فتصير بينها فرجة زووية

ووجود مثل هذه العادات عند هؤلاء الناس يؤيد توحشهم والحال
ان كثيرين منهم حصريون يتعاطون الزراعة نشاطاً ومنازلم أكثر انقائاً
ونطافة ما يرى في بعض قرى البلاد المتمدنة . وفي حوار زمين الاعلى وكوعن
الاعلى حيب لا اتصالية لم بالاوروبين وجدت عدم صاعه في الساء تدل
على حذق شديد

واما اهل افرقية فتدل في الغالب على اتبع ذوق واخلاق خشنه
واظهر مثال لذلك سكان ضفاف النيل الاعلى وكوعنو . فالدثه والشلوق
امتان معروفتان بكثرة الماشية ولا يذبحون منها شيئاً للاكل بل ياكلون ما
يموت منها بمرض او غيره . فداهم الصيد فان قل ادبيهم لجأوا الى اكل
الجردان والصاب والحيات . وامة النخو تفعل اتبع من ذلك فلا ياكلون اللحم
الا اذا اتس ويطلون نقايا الحيوانات التي تنترسها الصواري والجوارح فيدخنون
اللحم اذا كان جافاً ليلين ويسهل هضمه على زعمهم . ويحجون كثيراً بحنويات
كروث الفرث حتى الدود الذي يتولد فيها واذا مات اسان او قتل يصرون
على جثته حتى تصبح جيفة منهرة فياكلونها . ولذلك قد يدفنون اللحم في التراب
الى ان يفسد وقد يحفظون لحم السمرة مقدداً الى ايام الحاجة

هذه العادات المستهجنة الوحشية تدل على تدهر اعتقادهم الخرافات وهي كثيرة عدم تضيق دون تعصبلها بطوف الدفاتر واكثر حكام الداخلية يودون بقاءها في الرعية ليحفظوا بها ميزانية سيادتهم ونفوذ سلطتهم. ومن افجها عادة اهل دهوي عند تنصيب الحاكم الجديد فانهم يذبحون له ذبايح بشرية لاعنقادات وحشية. وقبيلة بخلة القاطنة على ضفة كوندو وهو نهر يصب في كونغو من الجنوب ومن عاداتهم ان ملكهم الحديد يعمل له ولية مولدة من ريع ثور وربع كس ومخذ انسان تسلق معا. ثم يقطع ساقية وهو واضع رجله في بطن احد الشفاء. وفي جهات البحيرات لكل قرية تجرة عظيمة تعلق بها حجام التلى في الحروب ومكوكهم وقد يجد المسافر في الطريق اشجارا معتلفة بها هياكل بشرية بارجلها والرووس الى الاسل. وفي اوروا بين ريري ونعاينا تقوم حفلة جنازة الملك باعمال ليس يسمع ما قطع منها ماولا بجول محرى المهر الذي يكون في ذلك المكان وبعد ما يشف المحرى الاول بمحرون فيه اخذودا ويطرحون فيه عدة ساء في قيد الحياة في الطرف الواحد من هذا اللحد تكون امرأة دابة على يديها وركبتها لتكون مجلسا البت وتخل الحنة احدى اراما ونعاس اخرى تحت رجله وتكون الوا في كمراس وغطاء له يدهن في الحياة الا الروجة الثانية فانها تقتل قل ان ندوس. وقد يبلغ عدد سائو المدفونات اكثر من مئة ثم ياتون بارعين او خمسين عددا من عبيده ويدبحونهم على قدره ليرووا تراه بدمائهم. وبعد هذا يردون المهر الى محراه

واكل لحوم البشر في امرينية عادة قديمة جدا ولا تزال سائدة فيها اكثر مما في غيرها من اقطار الارض البربرية وقد بحث الباحثون في الاسباب الداعية الى ذلك فسوها الى امرين الاحتياج الى الاطعمة والاعتقاد بوحدة السياح ان الاقطار التي يكثر فيها هذا الافراس قليلة الخير وافدة الحصب ليس فيها من الحيوانات ما يسد العوز وذلك اكثره في الاقاليم الاستوائية. ووجدوا ان الذين يمارسون الحروب يحبون ان ياكلوا لحوم اعدائهم القتلى

ولاسيما اذا كانوا اطلاقاً موصوفين بالشجاعة والبطش لاعتقادهم ان هذه القوى
التي كانت فيهم تنتقل الى الاكل بابتلاع لحومهم . حتى انهم يذبحون الاسرى
لاكل لحومهم ويقصدون قتل من يقدر على بيعه حرب . والذين يموتون
بالامراض في قبائل كثيرة يبيعهم اقاربهم كاصاف التجارة فياكلهم المشترون
وقد يتركوا الجيف حتى تسد كما ذكرنا آنفاً . وفي الحروب ينصفون على
القتلى والجرحى انقضاء السور ويأكلون لحومهم ويشربون دماءهم بشراهة
شديدة . وذكر سنيك وبعده سنابلي ان قبيلة على الشاطئ الشمالي العربي من
تعايقا لا يحرثون ارضهم ولا يزرعون حبوباً ولا قولا مع ان التربة في غابة
الجودة والحصب بل ياكلون الجيف ولحم الشر بيثا واذ يزرعون ان كل الناس
تعمل فعلهم تراهم يخافون ويهربون اذا قدم التجار بلادهم واداء شعروا بان
معهم مريضاً مقارب الموت يطلبون ان يتنزه هذه المأدبة عالة عند القبائل
المحاربة لكونها الاعلى . وفي بلاد اوريرا راي السباح حول القرى كثيراً من
الجحاش مصنوفة صنوفاً مرتبة تدل على ان ذلك المكان كان مكان وليمة فائمة
لحم الشر ووجد سنابلي صفات في قرية واحدة عدده ٨٦ حبيبة وطالما طارده
المرارة ليعترسه ورفاته وهم يصيرون اللحم اللحم وقد راوهم غيمة تنبيه . ومهم
جماعة اعتمدتهم حداً فصاحة النراحة فاشبهوا ان ياكلوهم وطلبوا ذلك الى السباح
ولام سنابلي قوماً لا يهتم فصدوا قتله او قتل رفاته وهم لم يصروهم نسي فقالوا لو
كنتم في مكانا لما تركتم لحوماً شبيهة لحومكم نفونكم ولم يجد لذلك حواشاً وفي
دات يوم اشبه من مائه في الصباح فوجد شبكة على كل جماعة بصها المرارة
ليلاً لئلا يتمكنوا من الهرب ويسهل عليهم قتلهم واكرمهم

ومن الامم الاوروبية المشهورة تاكل الناس امة يقال لها موسوطو مع نهم
اصحاب عنول وفنون ونشامات ويستعملون الحديد والنحاس وطالما يعزفون
القبائل المحاربة لهم يبهون المواشي ويقتلون الناس ويأكلوهم وياخذون
الاسرى الى مازلم ويتهمونهم ويأكلونهم عند الاقتضاء وقد يدخلون اللحم

او يغلوته ومحظوة مدة وشهد شويفرث باقامته عندهم ان هذه العادة عندهم
كعادة اكل لحم الصان والقر في البلاد المتقدمة . وانما يؤثرون لحم الانسان على
لحم الحيوان اناء على المواشي لينعموا بمحاصيلها . وفي بلاد غريكلند كهوف كثيرة
ملوثة من حجاج البشر وعظامهم وهناك آثار كثيرة تدل على ولائم بشرية
حافلة كانت تقام فيها

وتجارة العبيد في امريكة اشهر تجارة تحصل منها الارباح الوافرة فلا يكاد
صنع منها يخلو من اسواقها الرائحة والغاء الاستعداد في البلاد المتقدمة لم يمنع
نفاذه في واسط امريكية وتعاطي التجارة سرًا . ولما كانت الحرية مطلقة كان
يصدر كل سنة من سواحل امريكية نحو ٢٥ الف عدد

ولما كثر ذلك ما عاد المساكين يعترضون الحياة بشيء ولا عاد للحرية
عندهم قيمة وصاروا يبيعون انسابهم واولادهم وراى ليفنستون بعضهم يبيع الولد
من اولاده بما يساوي عترة مارات عدنا . وبعد تردد العرب الى جهات
منيا ما لهذه التجارة كان العدد يباع مارتين وما ذلك الا لكثرة الدواعي التي
لا تحفل لهم قيمة كالذهب والسلب والقتل والحريق ونحو ذلك



الفصل الثامن

مخاطر افريقية

بالجهد والثناء والهم العالية ولخدمة العلم الشريف والمحبة والشفاعة قد
انصل السياح الى النتائج المطلوبة من احوال افريقية محاطين بالانس بادلين
مالاً لا يتدّر بين الاهوال والمستنات والتهديدات ومقاومة المصاعب المختلفة .
فلا بد ان الجمهور يشكر فضل هؤلاء الاطال العليين ويتأسف على من فقد
مهم تهديد المعارف

ومن المعلوم ان رحلات مثل هذه تقتضي محبرة خاصة في الجغرافية
والطبيعات وقوة عقل وحسن تدبير واقدام على الاهوال وبوذاً ادبياً ومادياً
وهذه المزايا لا تنفق الا لافراد من عالم الضل

واذ كان لا يبسر لكل من هؤلاء الافراد استصحاب رفقة تقوم بسد
الاحتياجات الدفاعية والتحليص من المهالك الشديدة راياباً بالاختيار ان
كثيرين منهم سافروا نائمين في محامل الارض اما واحداً واحداً او اثنين
اثنين فالاعتماد ادى لتهامة القاصد التخصية لا بكثره وسائله المادية ومن
اشهر هؤلاء المتفهمين احوال اواسط افريقية لينستون ورث ونخنيغال
وشويبرث وكامرون وسرمانسو وسافريان دورانتا وستالي وغيرهم

ولكن لا بد لأي من كان من مادة أولية لا يستغنى عنها في مثل هذه الظروف سواء كان وحده أو مع جماعة وهذه المادة هي سيدة المواد ودولات الكون "المال" لأن اللوالم التي نظراً على السائح في العربة أكثر بكثير من التي يفتق عليها في وطنه أما لاقتناء أدوات أو لاقتباع الراد أو لأرضاء خواطر اصحاب المنوذ في تلك الاقاليم ونشر الخف والظرف بين الشعوب فكان غني أكثر منكملاً تنشيط رحالها فنالت قصب السق في الاكتشافات الامريكية وفارت بالافتحار في ذلك على غيرها من الامم الاوروبية

ثم ان التجارة والمال لا يبعين المخاطر ولا يبعانها فقد تعرض للسائح أكثر مما كان في اول بلوغه البلاد التي قصدها قبل ان يقوم بمايجازيه . والمخاطر في افريقية عديدة ومتنوعة . فاول كل شيء بحول دون مراعاة استنكار اهل البلاد فلا يتيسر له التحول بسهولة لان اس افريقية لا يعرف من امر الاسفار الا مقصداً واحداً وهو التجارة والسائح الذي لا يتظاهر باسباب التجارة تلقى عليه الطنون ويرجم بالاحداق وطالما تسددونه الطرق بهذا السبب وتنقص الثمات ولاة الامور اليه في تلك البلاد والتاجر ايضاً تعرض له مثل هذه الامور لتخاض التنازل فاذا دخل بلداً يمنعه اهله عن تجارزه الى غيره لئلا تفوتهم فائدة تجارته او يجسروا معها شيئاً . فأدت التجارب الى ان يجتار السائح طريقة في البلاد المخصصة القائمة بها اسباب الزراعة لان اهلها لا يكون منهم الطبع وشدة الحرص كما في الاماكن الذليلة المحبرات . ثم تختلف سهولة دخول السائح باحتلاف السواحل التي يدخل منها فالداخل من السواحل الشرقية يتيسر له تحال البلاد لكثرة الانهر وارتفاع الارض بحيث لا يكون لمصبات الانهر مستنقعات ولا عدها عذران راكدة . واما من جهة الساحل العربي فالارض مستهلة ومصبات الانهر كثيرة المستنقعات والعذران تولد الامراض الحموية والوبائية وغيرها

ومن اية جهة اراد السائح الدخول ومعه من المال مبالغ حسيمة ومقنة

واسعة يجب اول كل شيء ان يستأجر جماعة وامرة من اهل البلاد لحمل
انتقاله وحرساً للدت عن مسوعد الاقتضاء . واذ يعلم حملة الانتقال حاجيات
السائح اليهم يطعمون في الاحور طعماً فاحشاً مبهضي اياماً يساوهم ويحاربهم اما
اجمالاً او افراداً حتى يتفق معهم على ما يرضيهم . ثم تعرض صعوبة اخرى في تغيير
الاسباب التي ينالونها فقد ياتي عدداً من اخذ اليوم نفوقاً مثلاً ويطلب عوضها
قطناً وقد ياتي من اخذ ثوباً ويطلب بدلة تزيهاً معدنياً وهكذا . وقد يلتزم ان
يتفق عليهم اموالاً كثيرة قبل ان يتم له العدد الوافي ويتيسر مسيره في الطرقات
ويجب ان يكون معه من الضائع ما يبي قماش وماعون ومتاع وادوات ما
ياسب ويكفي كل بلد بدخلة للمقايضة والهبات وغير ذلك . ففي هذا البلد
مثلاً تروج الثياب الرقراء وفي الآخر الثياب المخططة وفي ذاك المفوتة وفي
غيره برى ان عشرين دراعاً من السج لانساوي قطعة من سلك معدني وفي
سواه يصلون الحديد على اللآلئ وبعضهم يؤثرون الحردة على ثياب
الملابس وبعض الثنائيل لا ترى في مقام المسكرات شيئاً من الخف المصنوعة

واللؤلؤ . المطلوب اكثر من غيره لكن لا يرصاه الواحد بالشكل واللون
والهيئة التي يحبه بها الآخر فالبعض يظلمون ان يكون مطوياً عنوداً والبعض
اساور وهولاء يفضلون الابيض ولا قيمة عندهم لاسواه وغيرهم يبخارون الاحمر
وهولاء يرغبون في اللآلئ المستديرة والوانك في المستطيلة وهم جراً فليتنصور
القاريء كم من الصناديق والرزم يجب ان يستصحب السائح وكم من الناس
يستلمر لفل هذه الانتقال اذ لا يحملون على الدواب الاحمال نادراً والرحل
لا يحمل اكثر من عشرين رطلاً عادة وعلى هذا لا يكفي السائح اقل من ٢٠٠
رجل يكونون معه في كل طريق يمر به ومشاربهم مختلفة فلا يسهل عليه ان
يرضهم

وفصلاً عما تقدم يجب ان يكون معه ذخيرة كافية من راد وخيام ونحو
ذلك فقد يتفق انه يصل الى مكان لا يجد فيه شيئاً من الطعام ولا الصيد وقد

يصل الى محلة لا يبعونه بها راداً الا لصاعه توافقهم فان اتفق خلوه منها مات هو ورفاقه حوفاً . وفي بلاد السودان يكون الامر اقبح من حمة اختلاف مشاربهم في اسواع الصانع لكن توحيد واسطة يمكن اتخاذها لارضائهم واتباع الزاد منهم وذلك اهم يتعاملون بنوع من الصدف يقال له كوري وتريد قيمته كلما تقدمت في الداخلية وهذا الصدف يوتى به من سواحل زنجبار وآسيا ويصل الى دهومي ومنها يتوزع في داخلية البلاد والانكليز يجمعون منه كميات وافرة من سغالا وقيمة هالك عشر قيمته في اواسط ارضية في السواحل ينطونه فلتايد كل قلادة مائة صدفة واما في الداخلية فيعدونه واحدة واحدة وكل ٢٥٠ صدفة تساوي قيمة مراك . والجمل يحمل منها في الداخلية مائة الف صدفة واذا جمع الرجل ثمانية واستوفى لوارثه وكان الفصل القادم عليه لا يوافق لدخول تلك البلاد وقد يقيم اياماً مقاسياً العذاب من المحامات رفاقه وقد يضطرونه الى السر بائف حيلة فيدهم وصل الشتاء ويقامى من شدة الامطار وترايد المستنعات اموالاً شديدة وقد يهلك هو وكل رفاقه فعليه ان يجتهد في مداراة جماعته الى ان ياتي الوقت المناسب ولذلك توقفت رحلات كثيرة عدة اشهر لا تستطيع السير . وكثيراً ما عدل السائح عن الرحيل في السواحل العربية لفلة وجود الخبال بعد ان يسى في جمعهم مدة سنتين . وقد يتفق ان هؤلاء الحائنين يصلون معه الى داخلية البلاد وينزكونه لاسباب محنة وهناك الويل

واعظم سبب لترك رفاقه اياه مداحة وكلاء التجارة والتجار الذين مصلحتهم في البلاد التي يدخلها فيأتون سراً ويعترون الحائلي او يمدعونهم ويحومونهم من اخطار الطريق ويوسوسون اليهم بكل مكر فيصع السائح وليس عنده احد فاذا لم يتيسر له جمع غيرهم يضطر ان يترك حاساً كبيراً من بصائعه ولا يتق ان يودعه احد الا ما الى ثلثا يهبه وليس ثم الا وسيلة واحدة ليكفي ترحم وهو ان يحرق ما لا يقدر على نقله

واجباً يجنّاز المسافر مسافة طويلة من الطريق وراحة وطأنينة ثم تعرض الصعوبات فجأة فتسفل عليه نوابيا الاهالي ويطعمون في بصائمه والروشاء يحمسون امنته وبعد ان ياخذوا شيئاً كثيراً من هباته يطعمون اكثر منها ويستعملون اهمية ما معه فينأمررون عليه ويدسرون على قتله وقتل كل ابص معه وينتهون الصاعقة . فيلنزم ان يستصحب رجالاً أولي ناس وشدة بجمونه عند الافضاء وينفخون له الطريق في النائل الحماوية ولذلك اتخذ ستالي في رحلته الثانية ثلثمائة رجل كلهم بالساق

وليس الناس فقط يحملون دور مرام السباح بل قد يلاقي الصعوبة والشدة من الاقليم والارض التي يمر فيها فان اخطار فصل الامطار في الاماكن الاستوائية عنيفة جداً . وغياض الاراضي الحسنة الشديدة البو ذات محاطر اشد من محاطر الصحراء الرملية والقفار الحرداء فالعصبات السمية المحببة القاتلة تكون دائماً كامنة في تلك العياض المنعفة تولد من نفايا السانات والمحجوبات وتشرها حرارة الشمس وتعمل الرياح شها الى اماكن بعيدة فتنتقل من نصبة والصعوبة ايضاً في اختيار تلك السانات الكتيمة الملتمة المعترضة في الطرق وفي اختيار العابات الطويلة الشديدة البرد ثم التعرض بعدها لحرارة القفار الشديدة التي تاتي بامراض قتالة وقوة الرطوبة هناك ما لا يحظر على النال فامها تنلب كل جسم تضرر الحديد وتسرع العفونة والفساد في الحطب والحشب وترخي جلد الحيوان المسلوخ حتى يصير هلامياً وتترج من الدارود وهو في خوف السندقية قوة الاصجار والحصنة تسد تحت مياه الامطار الراكدة . فالويل لمن يدهمه فصل المطر وهو في الطريق فقد ينظر ان يمضي في المياه والمنافع عدة اسايح والماء او الوحل الى ركنيه ووسطه ايضاً كما حصل للينستون مدهمة الموت قبل استدراك المرض . وفي تلك الظروف تنتد الحميات وتنتشر الاوشة فلا تقي ولا تدروقد نصل القافلة الى قرية مخاف اهلبا العدوى ويطردونهم فترى حشهم متتورة على طريقهم

وفوق هذه الصرعات والمصائب توجد أهوال أخرى ليست أقل اذى
فان تلك الاقطار الاستوائية تنبض محتررات قتالة ينهي منها المسافرون امر
العذابات . فعلى شواطئ تساد ومكنوريا وتعايننا يكون العوض مخيمًا كالعيم
المنتشر فيمنع الدبو منها . وفي اماكن أخرى يوجد النمل الابيض الذي لا تدفع
هجماته قوة بشرية ويتلف كل ما يصادفه من طعام ولباس وادوات خيام
ونصائح ونحو ذلك

وفي افرقية المحوية ضربتان عظيمتان الجراد والدابة المعروفة بالصيصى
والجراد مجرد كل ارض يربها كما يفعل في اقطار السودان وجمال الاطلس .
فقد يصعب المسافر والجو صاف والريج راكدة فيرى في الافق غيمة كثيفة سوداء
مستديرة شاعلة مسافة عظيمة من الجو تنتدّم شيئًا فشيئًا ثم يسمع منها صوتًا
كالجلجل الخارج من حليته لكن اشدّ كثيرًا ثم تقترب فيرى الوقار ورويات من
امرادها نعلو وتسفل في تلك الغيمة المملة . هذا هو رجل الجراد المائل الذي
يفرّ امام اصاف من الطير وهي لا تدعه حتى تلتفه او يتدد وتعي آثاره . فمروره
في بلاد نمسي والارض مكسوة بالحصى رتقع والارض جرداء كأن لا عهد
للحصى بها . واداسقط على الارض يكون كسطا سمكة اربع اقدام وطولها ٧٥
كيلومترًا وعرضه بالمسنة . واما سقوطه يكون بركود الريج فالويل للارض
التي يجل فيها . فتاتي جوارح الطير وكواسر الوحش والحيات المختلفة تلتهم من
تلك الوبئة الخافاة والاسا ايضا هناك تملأ سلا لا كثيرة من صغار الجراد
ويذخرونها مؤنة ويستمر مرور هذه العيوم الكثيمة ساعات متوالية لا يسمعها
ماء ولا نار وقد تنقطع الانهار الكبيرة على حصور معقودة من تحت الطوائف
المتقدمة بعد ان نهلك بالماء وتطوع على وجهه الى مسافة بعيدة . واذا عرضت
لها النار اطفأتها بشدة تراكمها حتى تسد عنها منافذ الهواء

فاذا طلعت الشمس وحييت اجنحتها قامت كلها ففجحت النبس واعادت
الهار ايلًا وحفيف اجنحتها بصم الآذان فتنتقل الى بقعة أخرى وتعمل ما فعلت

بالاولى اى نصير اخصيها احديها

واما الدمانه المماعة صيصى فتوجد على الطريق بين بلاد الراس وحموي
زميزر فتكون هذه الدمانه الضره الاليمه للقافله . والاقبال هناك تجل على
الجمال وفي عجالات صخمة يستخدمها الانكليز يصعون فيها العراش والصنائع
والصيد ويلبونها محلود حتى لا بدخل العجلة شي ومجر الواحدة نحو ثلاثين تورا
ويحبب العجلات في غالب الاحوال رجال على الخيل فالذمانه المذكورة
لا تعرض للاسنان اكها تودي الخيل والنروال فلثاني البهيمة وليس لها طيب
وتنقص عليها وتنشثها محطومها المعاد فتحرق الجلد وتنقص الدم . فيجئ
الحيوان بامره ويدور ويظفر ويهرع وينب من مكان الى آخر وهو يتلوى
ويتنقص ثم يتلانى ويسقط وقد سرى السم في بدنه وبعد هنيهة يموت

ووجود هذه الدمانه على محاري المياه للوقاية من اديتها لا تنهي القافله
قرب الامهر ولا تورّد الحيوانات للخراب الا بعد العياب لا بها حيثئذ تكون
قد ماتت وكنت اداها . وتكثر في بعض النواحي حتى يجتاح الناس ان يتحولوا
عن الطريق الى معافاة بعدة حداً ويدورون من عبر حجة حتى رجعوا الى
طريقهم

واذا فاز المسافر بالحاجة من كل هذه الاخطار فعليه ان يتعذر حضراً
آخر وهو رضى عضال دوري يتأني عن كثرة مشقات الطريق والمخاوف .
الشديدة وتعبيرات الوصول وتقلبات احوال الجو واختلاف الاراضي ونحو
ذلك . فيرجع الى ماله وقد امل الظفر واستقبل الراحة في الطريق احياناً
يصيبه هذا المرض وفي راحته يلقى شفاءه . وقل من يجا من الاوروبين يرجوع
سليم ويجا من هذه الاخطار نجاة تامة

هذا كله حقا بالعلم ونشر المعارف الحديثة بين اهل المعارف فليعتبر ألى
المصائر

القسم الثاني

رحلات مفصلة

الباب الأول

رحلة رونى اريكور الرسموي

الفصل الاول

ناحرى - ملاد عادل - صالح ملات - توى - نكة توى

في ٢٢ نساط سنة ١٨٢٩ اخرج رونى من الناهق الى السريس ليدخل البحر الاحمر وبلغ الولايات الجنوبية من ملاد المحشة ومن هناك يذهب تحت حماية احد دولة الملاد الى مجاهل افريقية الداخلية . فركب البحر من السوبس الى جدة ومنها الى محاه على ساحل ملاد العرب . ومن محاه حتى الى ناخرى وهي على الساحل الشرقي من افريقية . هذه هي الطريق التي اختارها - في ثلاثة اشهر وكان وصوله الى ناخرى في ٢ حزيران وهي مركز استعداده للسفر الداخلي

وناخرى قرية خفية في ملاد اكثرها فقر فاحل ساحلها رملي ايض

قائمة عليها اكواخ القرية الواحد وراء الآخر . وفي وسط اللاد الجبال الشائعة الصخرية عليها الآثار البركانية ممتدة من الجنوب الى الشمال وليس على سفوحها شيء اخضر . والبلاد بالاحمال خالية من الررع والتحر الامادر

قال روتى وهذا بحر من السائح ويضعف عمره كانه يرى من مظهر هذه البلاد الكثيرة طليعة الاقطار العارم على دخولها واثاث الاخطار المزمعة ان تتراكم عليها في الداخلية

وأدخل روتى على شمع هذه القرية وإطلعة على قصده فالتزم ان يتم فيها عدة اسابيع ووصفها وصفاً مدققاً . فقال عدد اكواخها نحو ٢٠٠ شكلها اسطوانى قائمة على اوتاد معروسة في الرمل ومعضاة باعصان ياسة . واهلها مسلمون يتعاطون التجارة بالمناينة بين جنوب المحسة و بلاد العرب ويصحبون القوافل ولم مهارة في الكسب لتعودهم مد الصعر ركوب الاخطار ومواصلة التجارة . وطعامهم الدرة واللبن ويستعملون السعوط عوض الشع ويلبسون جبة قطبية تحمها رداء يشدونه بمطقة يعلقون بها سكيناً او حجراً ويرسلون شعرهم وبصعروية وشعر النساء وافر جداً طويل يتجاوز الكتف ويلبس دراعات من النطن . واصل هؤلاء النوم من نيلة يقال لهم الدافاة مواطهم بلاد عادل الى حصيص حال شوى وهم عشائر واساط مختلفة

ولما خرج روتى من تاجررى استصحب واحداً من الدافاة واحداً من اهل القرية للخطط والاهتداء واخذ في طريق تنوى ولم يصادف شيئاً يستوقف الطر لان الحر والقحولة ساندان في ساحل بلاد عادل الجبلى البركاني الاصل . والجبال كلها معتدلة الارتفاع متساوية القم ليس فيها ما يختلف به المطر وتنبت الشمس نهارا حرارها على تلك الهصاب والمفاوز تتحردها من كل عرق اخضر والمسافر لا يطبق شدة نوحها اذا كان غير متعود ركوب متونها

وكان شروع روتى في هذا السرى واحرف فصل الشتاء فانفق له مصادفة زوايع وامطار شديدة متوقف عن المسير فقال في وصف ذلك « تحدث

« كل يوم زوايح شديدة في اول الليل وتستمر ساعتين فلا يستطيع المسافر ان
 « يتي المطر فمكنت اخلع ثيابي والها واسترها جهدي حتى لا تسلب والجا الى
 « اطول الصحور الشائخة وايت فيها طول الليل على حلد فترأخه من ناحري
 « وانعطي محلد آخر لا يلبث ان يشل لوصول الامطار الي نصف الرياح
 « وحرى السيول حولي بعف التي من ترسانه الهوان . فاني ساعة او ساعتين
 « متعدنا بهذا الحال ثم نشفع العيوم وبصمو الجو ونجلى الكواكب سهاها في القبة
 « الرقاه ونكون رودة الليل في شدتها مقالة لحرارة النهار الانوية »

وبعد ان تجاوز روتى قرية الكسيتانة راى بحيرة ملحمة كبيرة محبظها نحو ٨٠
 كيلو مترا بكثر نجر مائها ويزداد يوميا حتى كان الملح عابها طنة تمتي عليها
 الجمال الى مسافة بعيدة من الشاطئ واهل البلاد ياخذون كميات وافرة من
 هذا الملح ويحملونه الى الجهات وهو اهم اصناف تجارتهم

وبعد ان احترار بلاد عادل وصل الى قرية نياو وهي اول حدود مملكة
 تنوى وقد اقبل من ارض جرداء فاحلة الى اودية المحسة المصرية الشجر الكثر
 الحص . قال اول ما قامت القرية في راس هضبة حصراء تحف بها الاتجار
 رايت المنارل مجتمعة بنظام لا تظهر الا سطوحها المحروطة من خلال الاتجار
 المتنعة ووراء هذه الهضبة سائلة جبال معترضة من الحوب الى الشمال
 مولعة من هضاب ترتفع مندرجة الى مسافة بعيدة وكلها مكسوة بالاشجار نبع
 الانطار وترتاح اليها الدوس

والاراضي التي دخلها آهلة عامرة كثيرة الررع والساتين ساعة الظلال حسنة
 الربيع قد ساعدت بها يد الانسان يد الطبيعة حتى فاصت خيراتهما وعم سائهما
 فهناك الاشجار المثمرة والرروع المختلفة بين حطة واطربيل ودره وحص وفول
 وكنان وقطن وقصب سكر يباع كدرا عجميا . وعلى حوانب الطرقات الدوح
 والعليق المشبك وبين ذلك الياسمين والورد وغيرها من الازهار ومن الاتجار
 اللطيفة انواع السنط وتجرة اللبل المترفة الاغصان كانتها محروط مغلب

نخل ثمرًا احمر واصفر يكون عاقيد كحب اللؤلؤ واما الطيور الكثيرة
الاصناف الزاهية الالوان فهي ما لا بدخل تحت المحصر تطرب الاسماع باختلاف
الحانها وتسر الابصار بهاء الوانها

ولما دخل روتى مملكة شوى كان الملك فيها رحلاً يقال له صالح من سلالة
ملوك برعمون انهم من سل سليمان الحكيم . بكرم العريب بحب الداخل مع
الاجانب ويجهد في نشر التمدن في بلاده . وكان وقوراً مهيباً في عيون رعيته
واعقل ملك نولى سريراً في ارض الحشمة . قال روتى ان عمره كان ٤٥ سنة
وهو معتدل الثوام حسن الهيئة لطيف الطبع دهست احدى عينيه على اترمد
حاد وتعره اسود ككثيف مصور سظام بلس حمة من قطن بيضاء مطارة
مخطوط حراء

وكان عند وصول روتى مقبلاً في اسولولو حاصرتو الجديدة فارسل اليه
رسولاً بدعوة اليه في الحال فدخل عليه في ٤ تشرين الاول محمواً بالخواص
والحشم فوحده حالماً على سرير وحواله ثلثمائة رجل بايديهم المشاعل قائمين
بوقار ونظام حسن . فسأل روتى عن مقاصده من هذه السباحة واستنصى
الحمر عن السموم والصناعة في اوروما ثم صرفه وقد رآه مصنعاً من التعب
قال روتى دخلت الدار يتقدمني غمابة رجال بالمشاعل فادخلوني بيتاً
مسيحاً يشبه البيت الذي فيه الملك ارضه معروشة بالعشب العص وفي حدائق
معلقة تروس مصبوغة من حلد ورس الهر ومربية بالنصه قطر الواحد ٢
اقدام وفي وسط البيت مائدة مصبوغة من اعصان الخلاف ارتفاعها قدمان
عليها خمسة صحون فيها اللوان من اللحم واناوان فيها عسل من احوذ ما يكون
وسلة فيها موز تنشر منه رائحة ذكية واناوان فيها الحلاب اي ماء العسل
ووعاء فيه الحنز قد عيت الى الاكل فجلست واكلت ما تيسر فوجدت نابل
الطعام كثيراً جداً حتى احترق قلبي من حرارة الازاير فاكثر من العسل
والمور . ثم رايت في حاسب البيت كانوا من حديد مطروق فيه البحر يستقدم

الطبخ والاستدفا.

وكان الرجال الثمينة المشاعلية واقفين حول المائدة والمשלع يصع من قطعة سمع قطعي معوسة بذنوب الشمع وملتوفة على نفسها حتى تصير في علق اليد فيكون نورها عظيماً جداً فكان البيت ملئاً بالانوار ولمعان العسة التي على الثروس فشعرت حينئذ بانسساط نفس واستراح صدر وتحدد عزم وهمة نسبت بها المشقة التي قصبتها واستسهلت المضاعب التي صادها في رحلتها هذه لان راحة ساعه في مثل هذه الظروف وهذه البلاد الطيبة تسي الاسان كل هم وتنب وتهون عليه ركوب الاخطار

وتاني يوم دعا الملك روثي وجلس له جلسة طويلة سالة فيها بتصيل عن صاعة الاسلحة والمارود والدياب المستعملة في اوروما ونظام حكومة فرنسا ونحو ذلك. وقدم له روثي بصع صادق ومظنة البارود فاتهج جداً وانعم عليه بمجمل كريمة وجماعة لخدمته وما عاد يبارقة ساعة

وبعد ايام بها كان العلة يستعملون بالحنث اللازم لمظنة البارود حرج في صعة الملك التحول في انحاء المملكة فرأى له قوة عسكرية عظيمة وكان يقوم بتدبير الامور احسن قيام وكل يوم مساء يصع وليمة حافلة (ذلك في الايام التي كان بها يتاهب للرحيل) فتوضع الاطعمة على مائدتين كبيرتين من اغصان الخلاف توضعان في بيت كبير وتعمل عليها سعة اوعية صحية مملوءة بالوان من اللحم . ومعها كميات كبيرة من خبز الملة بعضه من دقيق الحنطة وبعضه من دقيق حب الاطربيل ترصف بين النضاع كالاساطين وفي بعض النضاع قطع كبيرة من لحم الفر معها مرق فاتر يتبل بدقيق الفلفل وفي بعضها سرائح او يصع من لحم الغنم معلنة بعضها عدة سرائح في عطة واحدة ودقيق الفلفل مذرور عليها كلها بكثرة وكل هذه اللحوم غير نامة الصع وقد تكون عوضاً عنها نضع كبيرة من لحم الذر بيثة وهم يستطهبون اللحم التي بدرون عليه دقيق الفلفل فقط . ولكثرة اكلم هذا اللحم تتولد فيهم الدودة الوحيدة المشهورة عندهم

ويدعونها بأكل نت يعرف بالتاو وهو الحشيشة الحشية استحلها من هناك
روتى فكان لما فعل جبل وشهرة لانسكر في بلاد ما. والشراب الفاخر عندهم
هو الحلاب ليس ماء الزيب كما يصع الآن عندنا بل ماء العسل المجيد يسكبونه
على مائدة الملك في واقيل زجاجة يعمونها بريلة

ويجلس المدعوون على العشب المروشة به الارض وحواري الملك يحضرون
الاطعمة فيتناولها الرجال ويقدمونها على المائدة. واما الملك فلا يواكل المدعويين
لسوء منزلته بل يجلس على سريرته وحوله الصباط ويعتد مجلس لهو وطرب
ويسر تخلعة طرفائه والمضربون يستغلون بالآثام وفي الطنور والشاة او
نحوها فتخرج الحماهم بجلية عطيفة واختلاط فيج

وفي ٢٢ تشرين الاول مشى الملك في مقدمة عسكره وقد اظهر من
الامة والفتحة ما لا يريد عليه فنقدموا الى حال مجيرة مارتين سلا دجالة .
وفي ٢٠ منه وصلوا الى البيل الازرق فادش روتى عندما رآه لكثرة ما
بذكر عنه من الاحار الموترة

واما جالته من اجل ام افريقية حسان السية طوال القامة حبيبهم عال
عريض انهم مائل لهم لطيف لونهم نحاسي شعرهم مضفور ضفائر صغيرة
مسترسلة حول الراس هيئتهم تدل على الشهامة واللفظ بتعودون ركوب
الحيل منذ حداثتهم وحمل الرمح والترس هم فرسان حاذقون اشد على
المشتقات اصحاب سالة واقدام في الحروب ويتعاطون الزراعة مهمة وبنشاط
ولباقة وعليهم زعيم دواس وتدير ولكنهم وحسن تدبيرهم لا تقوم في وحهم
امة افريقية ولا اكثر ولسمائهم جمال كساء عادل ولبس كازياهم تقريباً
واما مدهم فليس كالوثنيين ولا الموحدن تماماً فيعرفون ما واحد لكن
لا يبدونه عبادة طاهرة والحرافات عندهم كثيرة وقد اقتبسوا من النصارى
جيرانهم بعض عوائد منها احترام يوم الاحد فيجمعون فيه ليلوا الى الله ان
يجمعهم مواسم حيدة ويجمعون صائغ من الزروع ويناطونها وياخذون قصبة

طولة ذراع يسك الرجل باحد طرفيه والمرأة بالآخر ويرقص كلاهما دائرين
حول شجرة خاصة وهم يقولون اللهم اجعل زرعنا خصباً واحضنا واحظ اوراقنا
ومواشينا . وهلم حراً . وتارة يرفعون القضبان فوق رؤوسهم وطوراً يحنصونها
ثم يمشدون ويهصون ويغنون ويكررون الصلاة المذكورة الى مصي نصف
ساعة ثم يقدمون ذبايح من الغنم

واذا ارادوا طلب معونة الله في الحرب والصلاة فلما تنعبر واما الرقص
فيختلف فتصطب النساء حلقة حول الشجرة المقدسة عندهم ولا تمسك الواحدة
يد الاخرى ولا شيئاً آخر سبهما ثم ياتي الرجال على الجبل بسلاحهم ويترجلون
وياخذون الرماح والتروس ويصطفون حلقة وراء النساء فتبدي واحدة
بالرقص بان تصم رجلها وتضع يديها على حنوبها وتواصل الرقص وتنا على
رجليها بحدة وخفة ويعمل فعلها الرجل الذي يكون خلفها ثم كل واحد من
الجماعة يفعلون ذلك ماثون واخيراً باخذ بعضهم بايدي البعض ويرقصون دوراً
نهائياً دائرين حول الشجرة وهم يستعينون بمعونة الله وبعد ذلك يدحسون
توراً وبالكولة ويركون ويمصون الى الحرب راساً

وفي ٢ تشرين الثاني وقف الركب عند دير يقال له روى ليمانوس وبه
ضريح لراهب مشهور عندهم يخدمونه ويرورونه وموقع الدير جميل جداً
تجري عنده ساقية يقال ان لها احوالاً عجيبة وبعد تسع ساعات من الراحة
اتم الملك سيره الى انغولولو فدخل دخلة حليلة وفي ١٨ من سافر وصحبته روسي
الى انكور العاصمة القديمة لمملكة توى . وهي واقعة في السند الشرقي من ساسلة
جبال بركانية الاصل وتشتمل على عدة بيوت متفرقة بعضها عن بعض وحول
كل بيت حبيثة مسيمة تسياج حي من العوسج ونحوه . وسطوح البيوت على شكل
محروطي ترتفع بين الانحمار العسة تدرج سلمي بهج النظر . وعدد سكانها كان
نحو عشرة آلاف

ومازل الملك قائمة على آكمة محروطية تنسرف على الجبل وحولها خنائل

نصرة مرتنة ترتباً حسناً ومن راس الآلة يشرف الناظر على حرس تحت القرية
اشجاراً أرز وشربين مرتفعة في السحاب ارتفاعاً عظيماً وهناك اصاف الطيور
المعددة بكثرة عجيبة تجي بها تلك النعمة ويلق معها الانسان في حر النهار ظلاً
ساعياً ورطوبة تنعش القلب

ومن جهة الشرق يند النظر الى مسافة نحو ٢٠ كيلومتراً على بلاد متوجة
السطح عجيبة الحصص لا يقع النظر فيها الا على الحصرة الصغيرة المدحمة بالوان
فوس السحاب

ولما راق لروني المقام في أنكور احد بناهب لعل السكر لانه كان قد
وعد الملك بذلك فامر الملك باستحضار كل ما بطله من الادوات

قال فطلعت جماعة من الخرافين وسألهم ان يصنعوا لي عشرين قالوا
وفي ٣ منه اخبرني الملك انه ارسل جماعة ينتلمون اليه عود من قصب السكر
وكان مرصداً ما ان السكر سبضع في بلاده . فسالته ان يحضر لي خمسين
شاة لاستخدمهم في العمل حين وصول عياد النصب فقال انه يحب هو نفسه
ان يشتغل ايضاً ويقف على كل حركة اعمالها في اناء الشغل وان يكون العمل
في احد يومه

ثم اتى بالنصب فكان احوذ نوع رائنة في مصر وغيرها لم ار اعظم ولا
اعظم منه ولا اكثر ماء ولا احلى طمأ فامرت سلخ ليطبو (اي قشره) وان يقطع
قطعا صغيرة ويهرس في هواوين من حنطب ثم يوضع الحاصل في قطعة كبيرة
من الحام ويصبر ثم اشتعلت باعلاء العصور وصينية بمخمة من صوف ثم صعدت
ماءه حتى صار في الدرجة المناسبة من التخمير فسكنت في الثواب حتى يتلور .
وهذه العمليات اقتضت يومين وكان الملك يشتغل معها يده وكثير من خواصه
اشتغلوا ايضاً . وبعد ايام اخرجت السكر من قواله وقدمته الملك فطرب
طرباً غريباً ونجب عجباً تدبداً من صاعتي

وعمل روني للملك غير ذلك من الاعمال النامية في الصاعه وغيرها

حتى الح عليه ان يبقى في ملككم وانه يولي احدى الولايات . فاني واقام عنده
نصعة اشهر شهد في اثنائها صيد القرد وحرب الحسة والجالة ثم رجع الى اورما
عن طريق تاجرى وزيلع

واذ كانت هذه الرحلة قصيرة غير مستوفية الاخبار اقضي ان يرسل
رحلة اخرى فيها بعض التفاصيل كما سيأتي في الفصل الثاني من هذا الباب
وعند رجوعه اصحبه الملك صالح برسالة الى الملك لويس فيليب هذه
ترجمتها عن الاصل الفرنسي

من النجاشي صالح ملك تنوى الى لويس فيليب ملك فرنسا
اكتب اليكم كتابي هذا بعد ان سمعت روشى يذكر عظمتكم مسار اليكم
فلم يطلبا صداقتكم ومن العادة ان الهدايا بين الاصحاب المتعاضدين اول وسائل
المواصلة ولذلك ارسل اليكم بعض اشياء من محاصيل ملادي وفي ترس وسيف
وخاتم قصة واسوار حربي وخلافا وجاد ، اسود وحل لوة ورمضان ومرس
وكتابان اسم احدهما سنكسار والاخر فتح النجاشي واست احسب هذه الاثبات
لائقة بعظمتكم ولكها اشياء اثرية للهرج

لاقدر ان امدلكم الوداد الذي يحصل من النظر والكلام فاكفي ان
اواذكم بالكتابة لاني لا استطيع ان اراكم الا بالخبز والورق ولا اكلمكم الا باللسان
روشى فقد موضت الي ان يتنامىكم بافكارى وارحو ان تسمعوا بعوده الي وان
تقولوا له عند رجوعه ماذا تخبرون ان ارسل لكم من ملادي ما لا يوجد في بلادكم
فاني سانا در حالاً الى مصلحتكم واعيد اليكم روشى بالسلامة

وبركة رسالاتكم ومخلصا الان تكون معكم امين النجاشي صالح

الفصل الثاني

رجوع روتى الى مملكة شوى

لما دخل روتى بلاد لقيه الملك لويس اماء جملاً واحتفلت قدومه وجمعية العلوم وهناك سلامته وكان الملك صالح قد الخ عليه بالعود واعداً اياه احسن المواعيد . فاعتز بئله هذه الاسباب واطعمته معه بان يرسل رحلة ثانية يكتب بها شهرة وعظمة اكثر مما حصل عليه

فخرج من مرسيليا في اول كانون الثاني سنة ١٨٤٢ اوبلغ الاسكندرية في ١٥ مئة والقاهرة في ٤ شباط ومضى منها الى القصر عن طريق قما

وركب البحر الاحمر الى جدة ثم الى محما ثم ذهب محراً الى تاجرى وكان الانكبور في تلك الجهات متددين على السائلة الاحدية فاضطر ان يكس راحماً في طريقه الى محما فنار على سبعين بوه شديد قال في وصيه ما ياتي

حيما بلغنا منتصف الطريق بين تاجرى ومصبق باب المندب عصمت رياح شديدة وحدث بوه لم اعهد له نظيراً في سابق حياتي واجدت الامواج تنقاد سبعيناً الحسيسة والنبارات نفخ امامها هاوية بعد هاوية وترفعها نارة الى علو عظيم ثم تهبط وقد طنا ان اللجة اتلعنا وانتدت الرعود وسنطت صاعقة على مفرقة ما فشنت البحر كحجة من نار وظهر على انرها لميب ازرق واخضر وانتشرت في الجور رائحة كريهة كدنا نلحق تنفسها

ثم اتشدت عصف التيارات وعصف الرياح وجرت من السمية اشياء ثقيلة
 وتفرقت الفلوع وغرق احد الدناقلة . وصار البحرية يصيحون ويستعيتون وقد
 اذهلهم الحال ووقفوا جارى من تدة الهول واما انا والرئيس فتبينا متخلدين
 منصرين وجعلنا نضرب البحرية حتى يمتبها الى اعماهم ويبحرخوا من خمولهم . ثم
 تمكنا من اصلاح الفلوع وقال لي الرئيس ان الصواب لو خاطرنا بالسوس
 والاموال ان نتقدم الى ما بين الصخور على ساحل افريقية ولما صار النهار
 قريب الاصرام راينا صحورا مخيفة كانت السمية تدومها بسرعة فدم الرئيس
 على ما فعل ولم يعد نستطيع العود فراينا الخطر جسيما واصابنا التدة كالما راينا
 الموت ناعينا غير ان الياس احبى سا الهمة وحدد نشاطا البحرية فانوا يتناكل
 قوية ورأطوها بحال متينة مربوطة بالسمية واحد التناكل تلتة من اسل
 البحرية ووقفوا على المقدم فلما قررت السمية من الصخر الاول التوا انهم في
 البحر وتقدموا الى الصخرهم يقاومون عصف الامواج الراخرة فملعوا الصخر وعلنوا
 به التناكل نعلينا تدا بدأ موقعت السمية وحدثت في الامان ولولذلك لخطامت
 بالصخور القريبة الوصول اليها (يقال ان بحرية البحر الاحمر من العرب
 مشهورون منذ التدم بانقمام احوال البحر والنصر في شدائده)

وتالي يوم ركذ البحر وبعد يومين ملعوا محاصطر روتى ان يمكت فيها
 مدة طويلة حتى اتقى له حادث استطاع بواسطته ان يدخل بلاد الحبشة بـ
 وقت اقرب ما كان يرحو فان احد اهل امانو وهي قرية بمحاورة لناحرى
 كان مصابا بقرحة تعرف بقرحة البس وكان قد ناعه ان روتى طبيب وشى
 جماعة من اصيلوا هذه القرحة . فاقى اليه وطالب ان يشفيه

وهذه القرحة على ما ذكر الطبيب بتي الترسيوي عبارة عن آفة عنصرية
 تصيب السودان والعرب ونحوهم ولا تصيب الاوروبيين وذلك على ريب
 البحر الاحمر من حد عدن الى يبع . تندى بفترة صغيرة تحدث من خدش
 او حرج وعالما في الساق وبعد ثلاثة ايام تلتهم وتورم وتكون في وسطها نقطة

طاهرة ثم تحدث دائرة النهاية حول الانهاب الاول ويكون في الوسط غور قابل . ثم نظف الفرخة ويصبر مكانها احمر وبعد خمسة او ستة ايام تتعالم حتى تصبح كراحة اليد ويحدث معها غور بين فصيص العسلات وترتفع حافتها وتنقلب فيشعر المصاب بالآلام شديدة ولا يستقر من شدة الوجع ويتسوس العظم ويكتشف ويخرج منه تظايبا وينتهي الحال بموت العليل

ووعده روتى العليل انه يعالجه على ان يسره في قرية مدرايا من و الى ان رد عليه جواب الرسائل التي ارسلها الى الملك صالح قبل ان يارح ناحري املاً ان يسهل وصوله اليه . فاحببه الرجل الى ما طلب وبعد ان تبني وفي بوعدي في ١٦ ايلول دخل روتى اسماو وشاك وصلة كتابان احدهما من الملك صالح والآخر من الملكة بذكران فيها تسهيل السبيل اوصول الى بلاطهما ويتوددان اليه كثيراً ورسالة اخرى باسم والي ناحري فيه ائتم الوعيد اذا لم يبع روتى المرام من اختيار البلد او اذا من نصير

فهذه التسهيلات تسر اروتى الخروج من اسماو في ٢٥ ايلول بعد ان اجتهد والد العليل الذي شناه ان يتيه صبياً مكرماً عمده وارسل معه جماله تحمل اثنا عشر لكن ماجة فاحدة . والطريق التي سلكها هذه المرة في بلاد عادل نفس التي سلكها اولاً تريباً فانه مر بها بالبحيرة واسهى الى ديبالي وهي من اول الترى في حدود بلاد توى

واحرر مع ذلك انه في اثناء الطريق حدثت حادثه تستحق الذكر وهي ان الماحور هري الانكليزي كان معه جماعة لصد بلاد توى قبل وادياً بنال له وادي حمتا ولم يجتز على سوء لتوفي هبة التلوص لبلأ وكان قد ربط الخيل في وسط الوادي واقام حرسه الاوروي في حوزة السطح الشمالي والسطاط في حفة المصبص الجبوي فصمت عليهم اول ليلة لم يصادقوا شيئاً وامام في الليلة الثانية فضل نصف الليل ساعة عصمت ربح شديدة وارت في الوادي بحائب من العمار ثم سقط قليل من المطر قطرات كباراً وفي وقت قصير

ركدت الريح وصفا الجوّ وطلع القمر . وفي الساعة الثانية بعد نصف الليل سمعوا صراخاً مرعياً علماً انه صراخ مستعيت لهف هبّ الساس واخذوا سنادقهم ومشى هري مع جماعة من حوده الى مكان الصوت فوجدوا رجلين يتخطان ، دمها وبجاسها رجل يرتو عالي من التسع مبقور الضم مدلق الامعاء .

وكانوا قد راوا عند سماع الصوت تسجين راكبين في بطن الوادي واخذوا من شعاب الحبل فاراد الدناقلة اصحاب هري ان يلاحقوها فلم يهتدوا الى خباياها في تلك الكهوف وشقوق الصخور

فطر الجماعة ان هذا العمل لم يكن على سبيل السرقة لكن على سبيل الانتحار بالنبل لان من عادة اهل عادل ان الذي ينزل رجلاً ينال محراً ومجداً بـ نومو ويعد من الانتطال ويكون له حق ان يعلق شعره المدهون بالنخم ريشة نعام بيضاء وان يجعل في زبد اسواراً من نحاس وان يزين سلاحه بشيء من الفضة . فهذه الامتيازات الماخرة عندهم هي التي سهلت لذيالك اللطيف ارتكاب هذه الحماية عمداً

وذكر حادثة اخرى تسلمت الانتصار ايضاً لما فيها من التأثير قال كان من حملة النساء الشائعات للفاولة فتباد اسمها نبيسة آتية مع احبها الى ملاد توى لتتزوج رجل من الدناقلة كان قد حطها . ومن العادة عند اهل عادل ان يجمعوا نساءهم نتي من الحرية لكن يرضون عليهم التهام بالاعمال الشاقة وكان احو نبيسة قد وكل احنة بقيادة بعيرين من اصعب حماله فعاتبت بها نعا شديداً حتى رقى لما قلبي وكنت اناذر لمساعدتها بـ اكثر الاوقات . في ذات يوم كست في موحرة النوم حيث كانت نبيسة قد خلها وادياً صعب المملك حذاً في الطريق بين عمر علوف وكيلالون فسقط احد البعيرين عياءً والنيت سدنتي وتقدمت فانهضته معها وثاني يوم حدث له ما ذكر فاردت ان اعينها ايضاً فظرت الي فطره العسوب وقالت لا تدن فاست

عيون (أي تصيب بالعين) وقد أصبت بعيري فما باليت وتقدمت فأنهضت
 الجمل فالت حين تقدمت «يَهْ يَهْ دَيُو دَيُو الرنجي» أي عجباً ما أوفج هذا
 الرنجي . وهو الذي يمنع بعيري من المسير . فأخذت أحاول إقناعها أن هذا
 الاعتقاد حرافة لا معنى فيها ولم أقدر على ذلك إلا بعد أيام وأخيراً عرفت أن
 قصدي تخفيف نعمها لا زيادته فالت أرى أن لك سلطاناً حتى على الحيوانات
 أداست محبباً كما يعتد أهل بلادنا . فشرحت لها بطل الحرافات وصدق الأساية
 فأست بي من ذلك الوقت فقدمت لها شيئاً من الخبز فشرحت بذلك
 وأحبرت رفيقاتها بمحمدتها . واتحدتني حينئذ صديداً

وبعد أن احتزنا عوانس رايت البعير قد سبط لا يستطيع هوضاً أشده
 الأعياء فأنيت حسب العادة لأمهته فالت دع هذا العباء مسأصل أخيراً أو
 بقضي عليّ في القبر فصرت أسليها والطف مصيبتها فالت أراك رجلاً صاحب
 قدرة ولطف وبأخذ لو كنت تزوجني فبصر عاتة واحدة وأحي شعاع منلك
 فلا يندر أحد علينا فصعكت في سبي من هذا العرض العريب وفأت ما
 أحس ما أكون زوجاً لذات الجمال الأسود . ثم قالت لها لاصبري عن محاورتي
 سلي أحاك هل يرتضي . تركي خطيبك . وفي بيبي الله لا يسمع لأن هذه
 العادة عديم أن لا تعطي امرأة أمير خطيبها فكان كذلك وحرمت بيعة
 وناسبت كثيراً وقالت عندما انفردنا أني سأنروح نعم لكن تخفى أني لا أنساك
 مدي حياتي

ولما دخل روتني بلاد سوي كان الملك صالح في العولولا يتطهر
 مروع صبر فاسرع ودخل عليه فالتفاه بشوق شديد وكان لابساً حلة
 الرسمية وجالساً على سرير معطى بمحبل قرمزي فدیده الى روتني بأشأ فاعنته
 غير مبال بعادة البلاد فصار يسأله عن سيرته وعن الهدية التي أتاه بها ثم رأى
 أنه مخاض إلى الراحة فاذن له بالانصراف ليأكل ويأبى
 وتاني يوم جلس له جلسة طويلة وسأله أيضاً أسئلة كثيرة فآخبره

روتى كل ما اراد فعقد مجلساً حافلاً ثالث يوم اجمع فيه الخواص ليفدم امة
روتى الهدايا العيسة التي اتاه بها من فرنسا

قال وكنت قد احصرت هذه التحف ورتبتها على نظام احسب انه يدهش
النظار باظهار نبيء وراء شيء فاندأت بالعلاج الصم واول ما اطهرت دية
سدقية ثم خمسين طبخة وثمانى قرابينات ومئة عذارة وخمسين سبباً للدرسان
وخمسين المشاة . ثم قدمت شقناً من الخوخ الاحمر وطماص من صوف وشقناً
من الحرير ملونة ومنقوشة . وقدمت الملك خاصة لانه مولع بالصيد سدقية مزدوجة
كثيرة الثمن مربية سفوس ذهبية ارسلها اليو الملك لويس فيليب . ثم اريته كثيراً
من الخود والدروع المختلفة وهي تلعب كالقصة محالاً امرني ان احرمها عليه
فانتقم جداً بمطرها . وهم لا يعرفونها هناك

ثم احصرت مدفعين وقدمتها له وكان عدده مدفعا قدمها ساننا جماعة
من الامكنيز ولم يكن يستعمل المدافع في الحرب لكن كان يستعمل وتخر باصواتها
في الاعياد والاحفالات الخاصة فصالي ان اطلق المدفعين ابرى الفرق بين
صوتها وصوت اللذين عدده فقلت له نترك هذا العمل الى وقت آخر اكثر
مناسبة . ثم الهتة عن ذلك بانباء اخرى فامرت باحصار اربعة صناديق
كاست في مربي فلما رآها حركته رعبه شديداً حتى يعلم ما فيها فاحدث
افتحها واحداً فواحداً واظهر له منها العرائف

فاخرجت اولاً آلة موسيقية ذات صدوق واساطير وربار تديرها
فتصرف ثلاثين نغمة فلما رآها تعجب واراد ان يعرف ما هي فادخلت اسطوانة في
الصدوق فتندم وصار يهرس لينف على سرها وهو لا يستقر من قلة صبره
وابا اركها على منقعى الاحكام فلما احكمت التركيب سالت ان يصي هو وسائر
من في المجلس ثم ادرت الدولاب فتحركت الآلة ودارت الاسطوانة ورست
الحايتا المطرقة . فما اقدر ان اصف الهيئة التي حدثت على اوجه الحاضرين
والحركات الانشائية التي ظهرت منهم عند الوقوف على هذه الغرابة . وهم الملك

مرات ان يسالى عن هذا السر العجيب لكن ادعته الامان عن قطع هذه
اللذة العظيمة . فلما انتهى اللحن الاول اوقفت الآلة لاحمل تشويقاً لما يلي
وحينئذ فاصت علي السوالات كالمطر المهر فتفتحت الصندوق وصرت اشرح
لم كيفية العمل بهذه الآلة

وطرب الملك اشد الطرب واظهر لي ما في دليل تشكراته القليلة لافصال
ملك فرنسا الذي اتخته هذه النخبة العسية فاتخذت تلك الفرصة لكي اريه هدية
اخرى اكثر اعشاراً واشد عجماً من هذه فنلت له الذي رايت كلة من صفة ملادا
لكن ملكنا اراد ان يجعل العلاقة الحية الصحيحة بيننا فارسل اليك ما هو المحر
واتن ما رايت . ثم احرحت له من صندوق صورة الملك نازيت فلما وقع
نظرة عليها احده الامدهال لان الصور النخبة الموحدة في كنائس الحسة
لم تظهر له شيئاً من دقائق هذا الفن الطيف . فكان يرى الصورة المذكورة
كأنها تخص محمً يكاد يطلق محمد متغيراً ثم صار يمد يده اليها لعله يمس حسماً
من لحم ودم فلا نصيب الا دهاناً مسطواً فيزداد نخبة كالولد الذي يمد يده
الى بركة ماء ابسك خيالة المتعكس . ثم صار ينسب الصورة ويضطر الى قيامها
لعله يدرك مصدر هذا السر ويبحثها من الامام والوراء وهو لا يهندي الا الى
الادهاش وتلك الافكار والارباب

فنلت له احباً ان كثرة اللبس نودي الصورة وتنقص رونقها وهذا المهدي
ترأه ليس الادهاناً على نسج بانح رونق وثباته للملك من دقة الصناعة . فسمع
حينئذ لخواص ان ينروحوا عليها وامرهم ان لا يمسها احد بيده وبعد ان فرغوا
ارسلها الى الملائكة واصفاها من الوصية وفي نصف ساعة ارجعت الى المجلس
فوضعها على سريره وحمل بتأمل فيها وقال حتماً ان هذه النخبة المحر الثعب التي
ارسلها الي ملككم وهي ما يريده عدي اعشاراً وحماً فكلي اراه واحدة . ولنت
له الآن بواقى اطلاق المدافع اكراماً لملكنا . فاحاب في الحال وقما فاطنا طائين
لم يكن لها صوت عريب ثم امرت بتكثير كمية الخنو فلما اطلق المدفع كان له

البحار عظيم فدهش الملك وامر بابطال الاطلاق
وعند انقضاء المجلس طلب روثي ان يقابل الملكة فاذن له الملك
فدخل وسلم عليها سلام الحلال فاجلت مقامه ولاطفته كثيراً فقدم لها مئاس
الحلل الحريرية فاخترت الماذحة منها ولم تكثرث بالمقنونة
وفي آخر النهار اولم الملك وليمة فاحرة على ما وُصف آتياً. واتفق لروثي
ان يقابل هناك الوفد الانكليزي تحت امن هري المار ذكره وكان النصد
من رحلتهم الوقوف على احوال البلاد والتجارة لان اكثرا كانت مدممة موجهة
انظارها الى بلاد الحشة ولذلك كان ارباب الدولة والملك والمملكة لا يكرمون
برلاءهم فساور مري مرافقو غير شاكرين

وفي تلك الاناء شكى الملك حذاراً فاستوصف روثي موصفاً الى الفرق
بدهن ابني فرس الهر وفي عادة جارية في بعض اقطار امريزية . وكانت غاية
روثي في هذه المسألة لامداواة الملك فتطلب الحصول على هذا الحيوان ليرسله
الى مجمع الآثار في باريس

ناصرحه الملك بجماعة من المحربين في الصيد فمضي بهم الى نهر شيا لكثره
فرس الماء هناك فاحتاز بمنع بعد اخصب وانصر صنع في بلاد الحشة وهذا
الصنع يشبه الهر المذكور فيكس روثاً خاصاً فضلاً عن كثرة السمات والانتحار
واصنامها المتعددة . فان الهر يجري اولاً الى جهة الشمال العربي ثم يعطف
غرباً ويقع في اليل الاررق . ومن عند قرية شيا شيا الى جبل موحير يحدر
سرعة في وادي عجيب العمق يشق هضبة شوى شناً قائماً غريب المطروع على مسافة
٢ كيلومترات من العولولو قل ان يصعب في هذه الحقبة العظيمة يكون ارتفاع
محراه عن سطح البحر ٢٧٠٠ متر وبعد مسيرة ٤٨ كيلومتراً نحو الشمال العربي
يصل الى حوت فيكون ارتفاعه هناك نحو ١٤٠٠ متر فيكون تحدره من وهدة
الى وهدة على التدرج سريعاً عيباً ولا سيما في رمن فيص الامطار . فنضارة
البلاد على ضفتيه من اعظم ما يكون وتكثر القروء في تلك العياض المشتمكة

والطرق في سفع الجبل الى مجرى النهر مستوعرة جدًا ضيقة وحولها وهاد يقتصر
البدن من الطر بها فلا تسلك تلك الشعاب الا نفال الحشمة المتعددة

فلما شرعوا تصيد مرس الماء كان رفاق روتى يرمونها بالحراش كما تطعن
الحشب لصفاقة جلودها واما روتى فكان يطلق الرصاص في ادمعتها فينسر له
قتل انى كانت قد ولدت مد عهد قريب . ثم قتل غيرها ايضا ولم يوفق الى
اثناء مطلوبه . وبعد العناء الشديد عاد خائفا الى العوالم فلم يلبث اياما قليلة
حتى وصلته رسائل ملأت قلبه فرحا

وذلك ان اثنين من السباح الرسويين كانا في رحلة علمية الى بلاد الحشمة
وقصدا الحولان في مملكة شوى فأوقنا على شحوم حمرة فارسلنا الى روتى
يطلبان مساعدة الملك لانهم سرها فعرض روتى الندية على الملك وكان
حينئذ يتأهب لعمرو . بلاد الحالة فارسل الاوامر المتددة بايصالها اليه ولم تقص
الا ايام قلائل حتى اجتمع الاصحاب

واما الحالة هذه انشربا الى تنى . من احوالها في الرحلة الاولى لروتى وانها
متاخمة لكل ارض الحشمة من الجنوب وانها ذات شدة ونطش وحس صورة
بينها وبين الامهرة متناهية من عدة اوجه الا انها ليس لها غديهم . والغن
بين الرفيقين متواصلة ومن عادة ملوك شوى اكتساح بلاد الحالة كل سنة
فينسر لهم لما بين قبائلها من الاشتقاق ان يقوم في رنة الطاعة واذلال الناس
فتشهد روتى وصاحبه هذه العزاة التي قام بها الملك صالح وراوا من كثرة
العساكر وحسن نظامها ما انعموا به وكانت النائل تنصم الى العسكر في اثناء
الطريق من كل بلد يصلون اليها بين مرسا ومشاة الى ان بلغوا معبد
الاجتماع الاول فبلغ عدد الرسان نحو ثلاثين الفا بهم بالرماح والسيوف
وتروس الجاد يوجون في تلك السهول كبحر متلاطم وريق اسنهم ولعان
سيوفهم ما يهر الاضار والجبوت مشنكة كانوا رجل من الجراد يزدحم بعضه
بعض والجلدة وقفعة السلاح وصهيل الخيل تملأ الحو والعار مضروب موقم

سرادقات واقبل الملك على فرس من جياد الخيل مرخف العدة ووقف في مقدمة الدرسان مابهة وجلال . وعلى جانبيه رحلان بمجلان مظلة من المحمل القرمري في اعلاهما صليب ونفاحة فضة ووراءه الساسة بالثروس المرببة بالنصه وعشرون من الكهنة وبعاء يقين بحدمة مائدة الملك ومعون ومغنيات والآت موسيقية واربعون رجلاً بصرىون القنارات . وقدام الملك على بعد ثلثمائة قدم مهر يحمل سلة معطاة بالخوخ الاحمر فيها الكتب المقدسة وحوالة جماعة معهم المنادى يجرسونه اتخذوا ذلك منالاً لتناوت العهد حين كان يسير امام الاسرائيليين في الحروب

فاجتمعت العساكر كلها في محلة بيني وبينى في ٢٤ اذار سنة ١٨٤٢ . فكان عدد الدرسان ٤٥ الفاً وزحفوا على بلاد الجلالة . فرأى المساكين انهم لا يستطيعون القيام في اوجه عساكر كالرمال كاملة السلاح متفنة الطام . فلحقوا الى جيرانهم تاركين نسائهم واولادهم وتبوحهم وبهائمهم فوجدوا الحشمة في سهل ناجي وبري غبية ماردة لا تقدر لها قيمة . فوقف الملك عساكره اولاً ثم بعد ساعة قال لهم كروا والبصر من الله فانقص الحبش كالسيل المتدفق او كالدثاب الكاسرة قال روتى فاقشعر بدني من مواحتى هؤلاء الوحوش ومطائهم وما كنت انا الى لو كانوا بحاربون رجالاً لكن يذلون شراسهم في من لاقوة لهم ولا دفاع فصاق صدري وما عدت استطيع صبراً على معالهم القبيحة فاقشمت الجمعة لى اخض نص الانس الربيثة والخلوقات الطاهرة . فرايت والله يعلم شدة تانري سيوخاً مقطعة مهشمة وساء مضرحة بحجاب اطفالها الرضع المدبوحين وحتناً واشلاء لا يقع عليها النسر ما لم يرتعد الدن ملطحة بالدماء معبرة بالتراب مقطعة مهشمة . اطراف مقطوعة وروؤوس مدرجة واطون منورة وصدور مشنقة وهلم جراً . ثم رايت فارسين مفضين كالنازي على امراء وفي نهب الارض ركناً وتستعيث فسللت سبيي وابدعت لجنديهما فلم يدركها الفارسان حتى كنت قد وصلت واشترت اليها ان يرحما عنها هزاً احدهما رحمة وصوته الى مصرنة

السيف ضحاً على وجهه فطاش من ندة الصرنة وبكس مهرب رفيعة ثم لحق
 به . وتقدمت الى المرأة فجمت على ركبتيها ومدت الي يديها متوسلة ودموعها
 تجري فاومأت اليها اني اتيتم لانتها من يد عدوها واذا بجدي قد اقبلوا
 فرجلت احدهم عن دانتها وركبتها وهي في ذهول ما اصابها

وعمل روتى عدة اعمال مثل هذه وكاد اصحاب الملك يفتنوه لو لم يظهر
 اسألته وغرضه ناسر جماعة من اعداء الملك حتى ارتفعت مكانة عبده اصعافاً
 ولما عاد الجيش الى المعسكر حدثت مهم عدة حوادث طيبة من ذلك ما
 قال اني سمعت من صوت اطلاق سارق من مكان غير قريب مضيت لاعلم
 ما الخبر فعملت ان جماعة من الامهريه اطلقوا سادقهم على قوم من الجالة محبطين
 في الانتحار فنصدت المكان فاذا هو حصيص حصه محاطة بشجر العرعر
 والامهريه ينتشون على اعدائهم في كل شجر من تلك الانتحار وحالما يرون
 واحداً منهم يرمونه بالرصاص . وتقدمت الى شجر علمت ان فيها ثلاثة اربع
 الجماعة ان يرموهم وكادت الشجرة عالية مشنكة الاغصان فعملت انظر من
 حلالها حتى رايتهم بعد الجهد وادرت ان اخلفهم فاسرت اليهم ان ابرلوا فاطلق
 سبيلكم وهايك الامان فلم يصدقوني ونفوا متعلقين ماعلى الاغصان لا يطفون
 بكلمة فتقدمت لاصعد الشجرة لعلني افنعم ادا وصلت اليهم ثمالما امسكت الجذع
 سمعت صوت طلق وسقط واحد منهم امامي ميتاً وتراكص الجود اليه لينقطعوه
 واختصوا عليه واردهوا حتى ما استطعت الخروج من بينهم الا بجر يد سبي

وفي ذلك الوقت اعلن الملك رحوعه الى ابعولولو واسرع في المسير حذراً
 حتى كان ينقطع المراحل سير حثيث لا يبالي بندة الامطار فاضراً المطر بروتى
 كثيراً . وكادت العيمة التي عموها ٨٢ الف راس من المواشي فصلا عن الاسرى
 وكان حظ روتى منها الحصول على حريته ليرجع الى بلاده وقد باع مائة
 رفيعة جداً حتى لقبه الملك بالوالي او الحاكم ونطقوا في مدحها الاشعار الكثيرة
 وعرض عليه الملك احسن الولايات لكي يبق في بلاده فان لشدة توفقه الى الوطن

العزبز وخصوصاً لان صاحبه السائحين سافرا الى غندار
 فارح روتى مملكة شوى ومرّ نهرية البو أما في ولاية ايفات وكانت فيها
 سوق تقام في اوقات محصورة وتعرض فيها اصناف البضائع المعروفة في امريكية
 الشرقية واستنصع ما لزمه لقطع بلاد عادل . ومن تلك البضائع البن والنظف
 والنع والعبيد يباعون نادوات رجاجة . والمسوجات النطنية والحربية
 يوتي بها عن طريق البحر الاحمر . والمعاملة التي يتعاطونها لذلك قطع من الملح
 اهلجية الشكل طول الواحدة نحو ربع ذراع وسعها نحو قبراطين ويسمونها
 هناك عمولة والعشرون واحدة منها تساوي نالرو (عمارة عن نحو ٥ مراكات)
 وهم ينفونها جهدهم من الرطوبة ومع ذلك فظالما لثلفها خصوصاً في فصل الشتاء
 فنصير قيمتها قيمة الملح التجاري لان وزنها ينقص لذوان جاب منها . واسعار
 الماشية في السوق المذكورة بخسة جداً والحروف يباع بحمس قطع من العمولة
 اي نحو فريك وربع واما الدور فيباع بسعين قطعة وقس على ذلك
 وفي اثناء تحول روسي في ذلك النظر راي حمة اي سعاداً وفتل عند
 نرين ممرح الاهالي بذلك فرحاً تدبداً فالح عليه الملك وامرأته المحاحاً شديداً
 ليقى في البلاد فاعندروا استاذن بالرحيل وركب الطريق المؤدية الى تاجررى
 وعرف في اثناء الطريق ان الرسائل التي كان يبعث بها الى فرسا كانت تقطع
 قطعاً وتوزع بين الناس بصفة طلام . وانفق له ايضاً لثناء صاحبه بعيسة الآمة
 الذكر . ثم بلغ تاجررى ومنها مضى الى زيلع ثم الى محاد دخل مصر والتي عصا
 النرحال في فرسا في آخر سنة ١٨٤٥ . وبعد مدة عين قنصلاً لفرسا في جدة
 فتوفي بها سنة ١٨٥٤

الباب الثاني

رحلة برتون وسليك

١٨٥٦ - ١٨٥٩

الفصل الاول

وصف ساحل زنجبار - جزيرة ومدينة ززيبار - مماس وسحاي

القسم من ساحل افريقية الواقع بين راس النلتس ورأس دجارو (كناية عن عشر درجات من المنطقة الاستوائية) يشبه قوساً كبيرة تقع بها الى جهة البحر الهندي . والقسم من هذا الساحل الذي يصل الى خط الاستواء مبتدأ على مسافة بعيدة من شاطئ البحر محصص زيلي قاحل واحوال هذا الساحل مجهولة تقريباً الا ان جزءاً منه تسكنه برارة الحالة ويقال لهم الصومالة ونخارة قوافل التجارة الى ملاد قفة ونشفة سواق قليلة وتشتق من اطراف مضواو اهر تجري بعيداً الى جهة العرب . واكد قبطان انكليزي انه راي من البحر تلخاً مقبلاً كل السنة على قننه الشاحنة

ولول نهر يصل اليه السائح يقال له نهر حوب مصدره ذوب هذه الثلوج ومنعته على خط الاستواء وصعد به بعض السياح الى مسافة بعيدة . ورُجى انه يكون آمن سبيل للوصول الى مابع النيل (ليعلم ان هذا الكلام كان قبل

سنة ١٨٦٠)

واذا تقدمنا على الساحل المذكور جنوباً يتغير مظهر الطبيعة فنرى الأرض عند الشاطئ منبسطة مكسوة بنبات غرض كثير جداً وعلى بعد قليل من الشاطئ ترتفع الأرض دصة واحدة وتدرج في الارتفاع بدرجات متتالية الى ان تنهي بحمد عظيم يقال له موقارنجا حتى ان من يطر الى البلاد من البحر يراها كسلسلة جبال مستعرضة نازا شاطئ البحر . وفي السهول كثير من العابات ونحرقها اودية كثيرة تستطيل الى جهة الشاطئ وتجري منها انهار كثيرة على ضفافها انواع النباتات المدارية اللينة . ومن هذه الانهر دانا وساني وهو قريب من مرضة ميلدة القديمة المشهورة . وبجاني وقجاني ولوفدشي ورغوما ومن طم مياها بحكم على انها صادرة من التلوج الدائنة وقال كرتف وريمان من مرسي الاكيز انها رايا على بعد شائع من الساحل بين تلك الجبال فنتين شامخين يسميها الاهالي قليمان جارو وقانيا والتج عليهم دائم

والبلاد الجبلية المرتفعة تسمى في جهة الشمال أوقماني وما يلي جنوباً جاعة ثم اوسمارة وبعد ذلك متقدماً الى المغرب يقال للمصاة العالية أوبا موازي . ومن وراء ذلك ثلاثي في محافل امريقية الوسطى وكان يقال قديماً تأكيد ان في هذه البلاد المسماة اوبيا مواري بحيرات كبيرة تملأها مياه الامطار المدارية العربية فتتساقط منها انهر كبيرة . والقوئل التي تسير من الساحل الى جهات تنما وكيلوا وبجامو بولتطلب العاج في الداخلية والعبيد ونحو ذلك من اصناف التجارة نقول باجماع انها تصل من طرق مختلفة الى بحيرات كبيرة لا تجار الا بالقوارب الكبيرة . فوجود هذه البحيرات اثبت فصلاً عن المائدة الجغرافية وحوادث اسباب تخارة مهمة في تلك البلاد الحصبة العنية . وبهذا السبب غفدت انكثرا لجنة لاستفراء تلك الاقطار وفي مقدمتها رجالان من ضباط عسكر الهند وهما رتون وسبيك صاحبا هذه الرحلة . فاستفيد من اخبارها ما سياتي في الوصول التالية

والقطر المنخفض الملاصق للبحر يقال له مريما وهو كثير الحصب لكن

غير طيب الهواء فلا يمكن للغريب ان يستوطنه ما لم نصبه المحق . وسكانه على
 الأكثر لثيف من السودان والعرب يقال لم السواحلية . وينقلون ايضاً في
 بعض جزائر اناضول الساحل مثل جزيرة مبا المشهورة بمخضب تربتها ووفرة
 سائنها وجزيرة زرمبار وفي اكبر تلك الجزائر واكثرها نخاحاً وفيها مقام والي
 البلاد ومدينة المسماة باسم الجزيرة حديثة العهد وكان بلغ عدد سكانها في
 اوقات رواج التجارة اكثر من خمسين ألفاً وذلك لانها سوق افريقية الشرقية
 ينصدها العرب والاوروبيون وتجار الهند لتبادل الاصناف الافريقية والاجنبية
 وازفة هذه المدينة صيفة متعرجة وقد عمل لها الاوروبيون محاري
 للتبادلات فصارت نصيفة سليمة الهواء الا ان اردحام المارل في وسطها سب
 لقلة النظافة وبوت العرب فيها من الحارح يضاء كالنخل وكلما كان البيت كبيراً
 كانت مسامير ابوابه كبيرة واقفالها ضخمة ودل على عظمة صاحبه وفي داخل
 الباب الاكبر كثافة منصة ظلم تقفهم المساوي ومن خارج سلسلة حديد لمنع
 اللصوص وكل المافد صغيرة كانت او كبيرة مشككة بالحديد

وقرب وسط المدينة من جهة البحر حصن له اسوار مشرفة وابراج مستديرة
 وإمامة عشرون مدفعاً قريب بعضها من بعض حداً حتى لو اطاشت سقطت
 الحائط الموصوعة عليه ولو حاول زورق واحد اخذ القلعة المذكورة لما عمر
 حتى قبل ان رجلاً واحداً اميركياً دخلها به ينفذ لتخلص احد رفاقه ولم يستطيعوا
 دفعه . وفي داخل القلعة السجى الوحيد في البلد ولا نصيب فيه على المسجونين
 وليس في المدينة شيء من الاشياء التي تستحق الذكر

وعلى الساحل تحاه الجزيرة اسواق التجارة القديمة التي صار اكثرها مدناً
 ناهجة في زمن الرنوغاليين منها مباس ونما وبغاي وبجاموبو . واما مباس
 فاشتهرت بعاصمتها وتجارها سنة ١٢٢٠ وانفتحها الرنوغاليون سنة ١٥٠٥ ثم
 اخذها العرب سنة ١٦٦٨ وبعد ذلك صارت لامير زرمبار وفي منية على
 صخر مرجاني قرب البر وفيها آثار كائنات قديمة وحصن رنوغالي كبير كبير

الابراج المستدين والقباب المحاطة بالاشجار وعلى الترابازا الرياض انيقة متسعة
والى شمالي مماس على نصفه فراحق قرية رأيت ميا التي بنى فيها المرسلون
الاكليز منزلاً جميلاً ثم هجروا لعدم محاسنهم في مفاصلهم

واما تما في قرية اهلها نحو خمسة آلاف حولها غابات من النارجيل
والكرنب قائمة على هضبة تشرف على البحر وهي نقطة ارتحال القوافل التي تذهب
شمالاً الى بلاد ماساي . ونحاني بلدة اخرى على مصب نهر باسمها وهي بين
تنغا وزنريار في موضع ابي نصر وفي شمالها غابات النارجيل وجوبها
مرتفعات الشاطئ . فتظهر من داخل الوادي الجبال الشاسعة الزرقاء ومن
الجهة الاخرى البحر الفسح وعلى ضفة الهر بين تلك الغياض الكثيفة منائر او
شبه مراقب تجعل لذلك الوادي شهياً بمصيق الومفور . واسية الملة اكواخ
من القصب لكن فيها بعض بيوت مبنية بالحجر ويكثر الممر في الغابات المحاورة
لها وكثيراً ما يقتحم المارل . وفي الهر كثير من النامسج لانه لا تطف الاولاد
الذين يدبون من ضفته . وعلى ما تقدم صفة مجامبوو وكيلاو وهما الى حمة
المجوب



الفصل الثاني

مجرى سفر برتون وسبيلك

في ٢ كانون الاول سنة ١٨٥٦ كان خروج برتون ورفيقه من بياي وكانا قد تعودا استقراء الاراضي الافريقية وفي عزمها هذه المرة ان يتوعلا في داخلينها . فقابلا ساحل زيمبار في ١٨ مئة فراس برتون مظهرا عجبيا وصفا وصفا جميلا

ودخلا حريرة اسمها نمبانو يقال لاهلها الموحدون وعدم كثر من الخرافات الوثنية ورأيا ايضا حريرة مما التي يدعوها العرب حريرة الرمد وفي ٢٠ مئة القيت المراسي امام مدينة زيمبار فاستقبلها هامرتون فصل اكلترا وترحب بها كثيرا وكان رجلا صاحب حمية واقدام وبنو كمت التعديبات عن الاجانب هناك واخبر برتون ان حاميتهم كان اميرا اسمه سعيد وقد توفي منذ عهد قريب فاسف عليه الاوروبيون جدا وكان فصل الشتاء قريبا ايضا فاشار عليها ان يترضا نصة اشهر ويتحولا في سواحل اللاد . فقبل برتون رأيه وعزم على التطواف في السواحل فاستصحب دليلا من العرب يقال له سعيد ابن سالم وكان فتى وديعا بخلاف اهل اللاد . وركب هو وسبيلك فلكا عربيا وفي ١٦ كانون الثاني سنة ١٨٥٧ ارسيا في مماس فرايا الناس افواجا على الشاطئ ينظرون اليها ويسالونها اسئلة مختلفة ونساء السودان يقتلن في

البحر والاولاد يتراکضون على الرمل وهم يصيحون «مرنحو مرنحو» اي رجل ابيض

فاقاما مدة في مماس مصيبا بها لرياسة المرسل الانكليزي ريمان وكان قد تعود هواء اللاد وجرته السباحة في الداحلية فاما دها افادات مهمة ثم عادا الى تنعا ونحاني واخذنا بناهبان للرجل وركا هر بجاني ايصلا الى قرية فوحة حيث مقام السلطان قوير ويتوحها الى اوسماره . فشبنا في الهر اياما وهو هاد رائي عريض عند مصبه الا ان فيه بعض تلالات . قال سرتون وكان نفديما بطينا متعلا لكن لذبدا بحسن الماطر وكا يرى مرس الهر يبرز راسه من الماء ويطر اليا نظرا وحشبا ثم يغوص ويوعا من التمساح فيج المنظر هائل الخالب عائر العمين يمشي على وجل الناطي ويتف باظرا الينا كالمجدع المدد . والقروء تنواتف في اعالي الاتجار والرجال والساء به طادون السمك تشاك خشنة وخصرة الاتجار من الاحوى الى المصدر والمحرر تكسو الصنيتين ومن حلة الشحر نخل قصير عليط المجدع حذا بسومة نخل الشيطان له سعف صغ كلفذ الاسان طولة نحو ٢٠ ذراعا ومن وسط الساط السندسي تمت الاتجار ترزنع ريانق بيضاء كرفع التلح ومع ذلك فالبلاد قليلة السكان لا يروح للماطر الا آثار قليلة من الناس ولا يسمع عالما الا صياح القرق (نوع من الطائر) وحفيف الاتجار بالنسيم الخيل

وعند الغروب بلعا صحرا قائما في وسط الهر ابيض عليه اتجار قديمة يسميه الاهالي بير واسين وبروون انه كان شيئا عربا شريف الاصل تمت يده جماعة من المؤمنين فحجم عليهم هالك البرارة وهزموهم فطلب الشجعان تنشق الارض وتنبله لشدة حياثه من الهرمة . ولا سمحون ينقطع شي من الاتجار التي عليه . وان الاهالي يدهون الى هناك لزيارتهم ويطبخون وبالكولف ولا يلحسون اصابعهم خوفا من الارواح الشريرة المهتمة طائفة حوله ولا يمر حرس امير زنربار من هناك الا ويطرحون في الهر شيئا من ورق الشحر والبارود

والرصاص

وفي اول الليل لما قرية ذات افعال كتيبة فترلاها وترحب بها الناس
وبانا تلك الليلة في عامة حسنة على ضفة المهر وفي نصف الليل ركا العلك
ونقدا الى قرية شوغواي وفي مركز البريد موقعا بين الجبال تشرف على
العقبات المودية الى اوسمبارة وفيها جماعة من الحرس السلطاني. وحاكها الملقب
بالجامدار احسن الافئدات اليها واصحها رهط من الحرس وجماعة من العبد
لحمل الاثقال لكن لم تكن الجنود حسنة الضاعة على الطريق بعد عشاء ومضض
وصلا الى قرية اسمها قوهوداي على الضفة اليمنى من المهر والاشجار حولها شتيكة
كثيرة حدًا وحولها حاجر حصين لانتفاء الوحوش واللصوص واهلها كلهم سودا
فلاحون مارلم اكلواخ صغيرة بين مربع ومستدير والماتية تسرح حولها من
نقر وما عز وغم ونحو ذلك

واستمر سيرها في مسالك صعبة مستوعرة نحت امطار غزيرة والقرى
منورة على الطريق واهلها يستوقفونها في كل وقت ويسالون استئلة مخدلة
لانهم هناك شداد الرغبة في الاطلاع على الاخبار الجديدة
قال برتون فلما انتهينا الى ارفع مكان من طريقنا نجما اذ لم نر نحدًا وما
وقع نظريا الاعلى قارات مستديرة مخروطة خضراء من الكلا وفيها مسالك
ضيقة حمراء الثرة والاشجار كاسية اكثر سوح المحال وفي الوهاد منافع نشتها
سواقر صغيرة والى جهة الشمال العربي حمال كبيرة الى منتهى النصر وكما حيث
على علو ١٢ متر عن سطح البحر . وعندما نقدا نحو مربع عطيا في غمة
فراينا امامنا عدة اكلواخ محروطة فكانت هذه قرية موجهة واطلق الجنود سادهم
مخرج الناس من منازلهم ومضوا بنا الى منازل العرباء واقما ستظر اذن السلطان
بواجتهته وكان حظنا في لقائه متوقفا على خاطر المحجبا وهو لائب رجل له في
تلك الارض سيادة خوري وعرفا وطبيب والكل بها بونه تدبدا . ومثل
هذا الرجل كثير في انحاء افريقية ولا سيما الوسطى وله في كل مكان لقب خاص

ومن غريب زعمه في الاواسط انه يستطر السحاب . والمجنح هو الذي ينصح على
العرب دماً او نحوه بواسطة ذيل نقرة وذلك اذا كان العريب غير معروف
وهو الذي يتل للعنصرين ويكل موسم الى الله وهو الذي يترد عن
المرصى الارواح الشريرة وهو الذي يصع على العاج الذي يرسل الى السواحل
سمات سحرية تنقو من كل عارض وهو الذي يكشف الدسائس المرعومة عنهم
لايقاع الوالي في الامراض ويعاقب اصحابها بان يوسوا حديدة محما فاذا
كانت النهمة باطلة يزعم ان الحديدة لاتؤذيهم وله غير ذلك من الاعمال .
هذه قوى المحجبا العجيب الا انه يكون مع العريب لطيفاً ويمكن استرصاؤه بتقدم
شيء من الخنف فيلتي على العريب عماينه

قال ثم ادخلوا الى منزل الملك وهو في حصيص اكمة على بعد قليل من
القرية وكان ثاماً فاستوى جالساً عند دخولنا واجلسا على اسكملت صغيرة .
وكان هرباً غملاً حذا ليس في راسه شعرة ولا في ذقنه ولا في مؤسن . احمر
الحاجبين ارض البدن والرجلين يلبس طربوشاً وسحاً وحب رنة من حوخ وموقها
رداء قطاي مطلق وتحنه طمسة عجمية بالية وليس في منزله شيء يمتاز به الا
وجود خواصه يحدثون فيما بينهم ويصمم يروح له ومع كل واحد قصة طويلة
فيها عليون من العاج . واخبروا الملك اسانخص الجوم والشعر والحجر فطلب
اليما ان نركب له دواء يعيد اليه صباه وقوته فاحتنه انا تركنا كل عنافيرنا
في بخاني فقال انه يسهل وجود عنافير في حال بلاده . وبعد رجوعنا الى
ماوايا ارسلنا اليه هدنيا وارسل عوضها عملاً ظريفاً وسلة مملوءة من خبز الملالد
وشيتنا من الموز الاخضر مغموساً بمصل اللبن

واسم هذا السلطان قويمر اي اسد الرب وهو مستند الحكم يبيع رعاياه
عبداً للتجار العبيد ويأخذ اوفر نصيب من الهدايا ونحوها مما ينال الامالي من
الاجاسب وله حرس مولف من اربعةائى حندي كلهم اصحاب بنادق وله حق ان
يتزوج ثلثائة امرأة لكل واحدة منزل وخلم وله تسعون ولداً صار اكثرهم

مسلمين وبقي هو وثنيًا

وفرية موجة قاعدة بلاد اوسمارة اهلها نحو ثلاثة آلاف نس والاكواخ
هناك مستديرة كما هي العادة في كل افريقية الوسطى من حد حرار الى تمسكنو .
واهل اوسمارة يحنطون بالعرب فلونهم اسروهم صغار الاحسام اشداء يحنطون
رؤوسهم ويمشون حفاة ويعلقون طلاسم في رقابهم وكعوبهم وايدهم ويلبثون
كساء على احفائهم وشمطون يحمل يعاقون به سكيناً ولا يخرجون من مكانهم
الا ومعهم العليون والنوس والنساء يغلبن فلانند من حرز ايض تنيلة حداً
وياسن قميصاً يعقد تحت الاط ويرسل الى الاقدام ويتعاطين الاتعال البنية
والرجال يشتملون في الخنول ويرعون المواشي ويضادون الطاء وغيرها
ومن شغل النساء ايضاً الاحتطاب ودف الحبوب بالمواوين واكل اللس عندهم
نادر واندرومه اكل اللحم كما هو شاف سائر البراري . وانقارهم قليلة الدر
واوقات درها غير منة وهؤلاء القوم موصوفون بالمجنون والملة

ولما كان الحرس الانكليزي لا يستطيع احتمال البرد اضطر الجماعة الى
الرجوع فاسف الملك لانه فاته رحيلهم الدوا المعيد الشفاء . وفي ٢٠ شباط
وصلوا الى تلالات الهرثم بلعوا شوغواي وبعد وصولهم الى بحاني اصابت
برنون وسبيك حمى شديدة فركبا سبية الى زيربار بماء عظيم

وهذه الحمى سائدة في كل افريقية من ملاد الحزائر الى راس الرحاء ومن
شمال الى راس اليقنس ولا ينجو منها احد من الاوروبيين وهي تندي بانحطاط
عام وتثل الاعضاء وتحد الدماغ وتقرز شديد ثم يشعر برود صعب الاحتمال
ووجع في الاكتاف وبعد ذلك تحدث قشعريرات وصداع اليم وحرارة في الوجه
واحتقان الاوردة وهي عظيم حتى لا يستطيع المحبوم وقوفاً ونقص البون من
ثقل الجفون واذا اجتهد العليل يفتح عينيه يشعر بالنهاب مؤلم ويسرع النض
ونكسو اللسان مروة وتنفذ شهوة الطعام ويستولي عطش محرق حتى لا يروى
صاحته . والليل اشد الما من النهار حتى يشند المذبان . لكن يجتري دائماً من

الصيد لان به الملاك قطعاً . ويجب على السائح ان لا يخلو مطلقاً من الكينا
 ويغذها في فترات النوب . فاذا كان سير الحى خبيثاً تنعاضم الاعراض
 ويخل العقل غمماً ثم يحدث تحسن ظاهر ويعقبه حالاً فقد الشعور والحمول
 ثم الموت . واذا كان سيرها حسناً الى السلامة تنافس في اليوم السابع وينفس
 اللسان وتسكن الآلام غير ان مدة الفقه تكون طويلة وصعبة فبوافق جداً
 تعبير الهواء لكن لا يرال العليل يشعر الى مدة طويلة بعض اعراضها كاجوع
 حادة في الفك وانحطاط القوة واضطراب العقل وبعضهم يقضي حياته ولا يشي
 غمماً . غير ان صحة سيرة برتون وسبيك وحسن المعاملة بهمة هامزتون ما
 ساعد على غلة هذا الداء المحبت فتفنيا غمماً في بضعة اشهر وكاسا في
 تلك الاناء بناها من للرحلة الكبرى الى البحيرات الداخلية على ما باقى

الفصل الثالث

— ٢٥ —

سفر برتون وسبيك الى البحيرات الكبرى

في ١٤ حزيران سنة ١٨٥٧ ركا سفينة لامام مسقاط ولبعا قرية قولاي
 على مصب هر فنجاني وهي اول البر الذي قصد دخوله فصادف هناك من
 الصعوبات ما يصادف كل سائح في تلك الاقطار فكان قد ارسلوا وكيلها سعيد
 اس سالم ليستاجر لهما رجالاً ودواب لحمل الاثقال مما استاجر اكثر من نصف
 المطلوب وكان نجار العرب يخوفون الناس من سكان واسط امريقية حتى

لا يصحوا الا فرخ في رحلاتهم فصعب عليها استئجار جماعة كابية لكن بدل
الدرهم والصبر والشهامة اكل برزون جماعة وسافر في ٢٧ حزيران وكادت
القافلة موانة من ١٢٠ رجلاً بين سودان وعرب مختلفي الاجناس والاطوار
وعلى رئاسهم برزون وسبك

واهم من يذكر من هذه الجماعة اولاً سعيد بن سالم المار ذكره ومعه امرأته
واربعة عبيد ثم قهرمان سبك وصاحب سلاحه واسمه مبارك مهابي وانه صدمات
غير عريضة في سلالته السوداء وخادم آخر له اسمه موني مبروكي وهو فط
الطباع شره النفس بعض الخلق والخلق متطرف في كل اعماله شديد الحرص
على ما بيده وكثير الطمع في ما لغيره. ثم خادمان آحران من مولدي النرتوعاليين
والسودان في غوا اسم احدهما جيتانو والآخر والنين بوصدان المحاء وح
السيادة والسرقة والكذب والشرافة وضعب الطمع لكن كان والنتين قد تعلم
لغة السواحلية واستعمال الترمومتر والدارومتر وانواع الفطيم والحباطة وكان
جيتانو حريصاً على مواساة المرمى حسوراً لايهاب خطراً مفداً على الاهوال
لا يبالي بالموت. ثم عشرة من حوود الحرس معهم السادق والسيوف والثرؤس
والمحاجر وكانوا مامورين بحراسة السائحين تحت مسئولية شديدة ورئيسهم
الجامدار ملوك اعور فطس دو دهاء ومكر. ثم المكارون ومحو اربعين حاملاً
وكانت الاحمال موانة من نياح حربية وقطبية وفلاندا من حرر او حرف
صبي واسلاك حديد ومحاس يطلها البرارة كثيراً

فكان برزون مع مثل هذا الليف مضطراً الى شدة نيقط وحسن تدبير
فكان كل يوم يستط الكسالى ويوقطهم من نومهم ويحث المحالين والمكارين على
الهمة والمجنود على التحفظ والسهر ويسكن الشعب ويلاطف الجماء وهم جراً
وكانت الايام الاولى متعة والطريق التي سلكوها في وادي فنجابي تمر بعدة قرى
وتخل العباض والوعش المشتك والساتات المتعة والارض رطبة من ماء المطر
والصبا فاسد الروائح. فلم بمصر اسوع حتى سقط سبك شغل المحي

واصابات رنوف بعض اعراضها مثل المشنقات والالوجاع بلما قرية ذيل المهرة
حيث قتل السائح ميزان من عهد غير بعيد

وكان ميزان هادئاً من صراط البحرية الرسوية فخطر له سنة ١٨٤٤
ان يكتب المخابرات الكبرى فصوبت الحكومة راية وارسلته الى جزيرة بوربون
فقصى منها الى زربار الصحبة القمصل روشان وكان سلطان زربار قد عند
معاهدة حديثة مع فرنسا وكان ميزان تلميذاً في مدرسة اللغات وحصل معارف
كبيرة واتخذ الآلات علمية وادوات من كل نوع كلها غاية في الاتقان والطرف
فكان لفلة محبته يكسها امام اهل افريقية فيطمعون فيها لما لها من الهام واللعمان
لان اكثرها ادوات نحاسية مدهمة او فولادية محورة صنيعة ومن الحملة ناحة
نحاس مدهمة كانت في راس عمود خيمته ووجدت بعد حين معلقة في عنق
الذي قتله

ولما وصل الى زربار شاع الخبر بكثرة عن مطاعم فرنسا وتحدث
الناس بمناصدها في وضع قدمها في تلك الاقطار وكان التجار الهنود الذين
يبدون زمام تجارة السواحل كثيرين الحذر شديد المكر يشيعون الاواحيث
عن الام الداخلية ويوهون الناس بحواف كثيرة وقصى ميزان في زربار
شهرين يعلم اللغة السواحلية . وقبل ان يخرج في رحلته ساح ثلاث مرات في
السواحل المجاورة حتى تمت لاعدائه الفرصة لصب مكائدهم ولم يحس ملاطمة
العرب الدس بمحمولة في طريقه من الطوارق بل استصحب رجلاً من اهل اويما
مواري وازيادة فحسوفص استصحب الحرس الذي عرضه عليه السلطان
ليسير معه الى الداخلية وهكذا اتى معه ملا نصر في ايدي رؤساء البرابرة
الجنسية

وعند انصرام فصل الشتاء سنة ١٨٤٥ بلغ مجاميو وهالك صرف الحرس
الذي كان معه وعدده اربعون رجلاً من اصحاب الساق وتقديم وحده في
الداخلية قاطعاً نظره عن مصائح رفيقه الاويماوازي ولم يبق معه من الرفاق

الارجل من مادكسكر اسمه فردريك ورهط من الجمالين . وخطره في طريقه ان يروى فارى ماربحا رئيس واقبة وفي قسم من اوزارومو . وكان مقام الرئيس المذكور في قرية ذيل المهن مرحب ، واطهره الودرياء وانخدع ميزان بطواهر ملاطمة وقضى عنده اياما بالسلام والانس حتى اطمان قلب ميزان

ففي ذات يوم قال له الرئيس انك ارسلت نخفا الى جماعة من الروساء . وطلال به الملام حتى استنشاط غيظا وادى به الحق والحقد الى ان قال له وانت توث الآن في مكالك . ثم اشار اشارة فانقص على ميزان جماعة من البرارة وبأيديهم عودان كبران فاما فردريك محبته امرأة الرئيس فصاح بميزان ان يلجأ اليها فيخلص فلم يفعل واخرجت المرأة خارجا ثم رطلوا يدي ميزان باحد العودس ورجليه بالآخر فصار مشوحا بينها محموله الى تحت شجرة كبيرة خارج القرية وصاروا يعنون اعالي الحرب ويصرون الطلب وتقدم الرئيس ماربحا وصار ينقطع اطرافه شيئا فشيئا وهو يساله ابن خبا نخبة فلا يجيبه بل يطلب الى الله ان يعمر ديوه الساقية ويقبله في احضائه ويذكر اسماء الذين تصحوه فالى اتناع رايهم . وراى الرئيس ان سكية نلت فتهد يحددها على حجر وعاد الى اعلى القطيع واخيرا قطع راس المسكين كانه حمل للدع . وعاد يسال الذين يحرسون امنته عن مكائهم ويحاول ان يحددهم ليسهلوا اليه شيئا منها

وكان فردريك قد مر عائد الى رربار واحبر الفصل روشان بالحوال سنة ١٨٤٦ وصلت سعية حربية الى رربار لطلب قتله ميزان وارسلت الى الداخلية متي رجل بالسابق للحاق الرئيس الطالم فلم يجده لانه هرب وامعن في الاختفاء وكان صميره لا يزال بوجهه نصف ويرى في اليوم رؤى هائلة حتى اخنل وعاش نية ايامه محنونا ذليلا حقيرا وبعد ان وقف مرتون على هذه الاخبار رجل برفاقه من ذيل المهرة

وبلغوا نهر محبتا فاجتازوه ودخلوا مقاطعة خوطو وهي ارض وبشة لكن بكثرة
تردد القوافل اليها وقاسى الجماعة فيها من المستنات شيئا كثيرا لان الطريق
الى مسافة بعيدة بين سانات عالية تندى بالرطوبة الى نصف النهار والوجل
لزوج مراني كثيف فيه كثير من اصول السانات ثم دخلوا بعد هذه العماض
ارضا ناشئة مشقة بالحجارة كثيرة المحتبس الياس . وثلاث مرات احناروا
مناقع مسيجة حذا كانوا يعرفون فيها الى الركة في الوحول والمياه فتصوا عمام
عظيما . وصارت الامراض تستولي عليهم وما راد عناهم ان حبر افرقية كثيرة
المجموع والعتار والكرو والشرود عن الطريق فحبرت اصحابها وضيفت
صدورهم وسقط سبك مرتين عن دانتو لسوء مصيرها

وفي ٢٤ تموز خرجوا من قرية دنومي ودخلوا ارضا تعاقب عليها المطر
وشدة حرارة الشمس وكلها هصاب متواليه خبيثة الهواء لا يسكها الياس ولا فيها
زرع وهناك تندي ادغال افرقية المختلط فيها الشجر والعوج والعايق
والاعتشاب المتكاثرة المشككة اشدا كما عجيما حتى لا يرى السائر ما امامه على
مسافة ١٠ خطوات لشدة الظلمة . والارض هناك وحلية سوداء مكسوة بالأتواك
او الاعتشاب التي علوها نحو عشرة امتار وورقها في عرض الاصبع لشدة قوفا
وكثيرا ما تعترض هذه الاشياء في الطريق فتسده ويحني لدى السائلة .
والرطوبة سائدة هناك ترتفع منها البجرة كريهة كان هناك جيتا مننة . والجو مع
ذلك لا يزال اغمر شكائف فيو العيوم تنصر بها الرياح وتمرقها وتصب منها
سيول المطر بعنف شديد . والذي يكون في تلك الارض يشعر بسقوط قوتو
وثلاثي اعدائو وخول عقلو ونحو ذلك مما تذكره معه الحياة . وبعد ذلك ترى
بعض الكواخ لامة خبيرة فبيرة ساقطة جدا سودان ابدانهم هريلة جلودهم قاحلة
ملاسهم بالية يكثرون من المسكرات . فلهذه حالة افرقية الشرقية من خوطو
الى اوزا حارا

فلما بلغوا رنومبرو مكثوا فيها من ٢٥ تموز سنة ١٨٥٧ الى ٧ آب وهي

قربة حبيزة كثيرة الامراض في وادي رطب لكن فيها محط القوافل وملقى
الطرق التجارية . ومن ورائها ترتفع الارض بسوح متحدرة حرداء الى ان تنهي
نجد افريقية الوسطى فيصير الهواء طيباً

والسودان الذين في الاقطار المار ذكرها كالوارارامو والواخوطو لهم
عادات واخلاق كسائر سودان افريقية الوسطى الا في بعض احوال والوانهم
من الاسمر الى الاسود المحالك والوشم بهم شائع وبحر حوت وحومهم ثلاث
جراحات من زاوية الم الى قاعدة الاذن ويصنعون من المعرة ودهن الحروع
مرهما يدهنون به شعهم ويعملونه حلقات وخصلاً مختلفة الاشكال وعميون
الوارارامو مائة قليلاً وابوفهم مملطحة عريضة وشعاهم صلبة باردة وذقونهم مائة
فيها شعرات خفيفة ولباسهم ثوب قطي يسير الصف الاسفل يصغونه بلون
اصفر وسخ كلون ترقة ملادم ويلبسون اساور وقلائد راحية ويعملون من
الصف صبيحة لجباهم او بهلقوها في اقبينهم وقد يعملون في معاصهم اساور
من نحاس او قصدير . وللابنين المذكورتين اي الوازارامو والواخوطو حلية
خاصة يسونها مجويكو وهي قلادة عريضة من اللؤلؤ والحرر الاحمر والاصفر
والاسود والابيض . والرجال لا يبحر حوت الا بسلاحهم وهو السادق والرماح
والسهام المسمومة والسيوف والحناجر الطويلة يصنعونها بايديهم من حديد
يشترونها من القوافل

واكواحهم مستديرة يعملونها من اوتاد يعرزونها في الارض ويشدون بها الطين
واغصان الخيزران ويعملون لها سقفاً مخروطياً

ولهم عادتان ممتازتان توحدان ايضاً عند بعض امم الداخلية . الاولى الاخاء
ويقولون لها «ساري» وذلك اسم يخالون على المصانعة والتعاقد لاحتياهم
الى معاونة بعضهم بعضاً في اكثر الاحوال . والاخاء عند الوازارامو يقصد به
ايضاً اتحاد الصالح وحسم الخصومات وحماية الصعفاء من ندي الاقوياء . ولا
يكون الاخاء الا بين الرجال البالغين وطرق القيام به مختلفة باختلاف القبائل

فعند الوازارامو والواخوطو مثلاً يجلس الرجلان القاصدان الاخاء على جلد حيوان الواحد باراء الآخر ويمدان ارجلها متداخلة بعضها بعض ويصمان قوسيهما والسهمين على الانخاذ بشكل صليب ويأتي رجل ثالث ويهرق فوق راسيهما سميّاً وينطق باللغة على من ينقض الهد ثم يذبحون خروفاً ويشوونه او يشوون قلة ويأتون به للتأخين فيجرح كل منها بطة تحت السرة حرماً يسيل منه الدم على لحم المخروف ثم ياكلانه ثم يهدي كل منهما الآخر شيئاً من نخبه ويبقيان مرتطين بهذا الهد مدة الحياة والذي ينقض الاخاء يقتل او يستعبد بحسب الظروف التي تقضى فيها . وطالما استعاد العرب هباك من مواخاة السودان فيفصون لهم مصالح مهمة

والعادة الثانية التي تستحق الذكر ايضاً في انهم لا ياخذون لنفسهم شيئاً مما يجدونه على الطريق وخصوصاً اذا كان لابناء وطهم والذي يجد ضائعاً ويخص به نفسه يستوجب التمسواي الموت او الاستعداد . واتفق ان يرتزوا اصاع ساعة على طريق زنجومبرو فانوه بها ملفوفة بورق السانات . ومع ذلك لا يكون هذا الاعتماد ماعداً عندهم للسرفات

ولما تجاوز الركب زنجومبرو وبلغوا الجبل انقلب الحال بهم حالاً فصار الهواء طيباً والجو صافياً ورالت الامراض كانتهم رقيت في الحال . لكن لم تطل لهم السلامة فانهم بعد مدة قصيرة دخلوا غياضاً وادغالا ومناقع كالتي مارحوها اولاً فذاقوا العذاب الشديد فصلاً عن الحصومات التي كانت متواصلة بين جود الحرس وبعض الركب وقل زادهم فاكلوا ما لا يطاق اكلة وسد الهواء واصابت برتون وسبيك حتى خبثت ودخلوا معراً من اشد الطريق هولاً يصلون منه الى نجد او حوجي وراء جبال روهيو

قال برتون بينما نحن نرتعد من شدة الحمى قالما شعماً صعباً في سبخ جل قائم فرايت هذا المسلك كسلم درجها قطع الصخور واصول الشجر وكان رفتي سبيك ضعيفاً جداً حتى كان ثلاثة رجال يسكون به واما اما فما احسبت

الا الى واحد فصعد الجمالون ذلك المعبر المائل كأنهم قروء يتسلقون جدار
هوتة واما الحمير فكانت تعثر في كل خطوة وفاسيا من العطش والسعال
والضنى عناءاً اليافمنا مدة وحولنا صراخ الحرب في رؤوس الاكام والناس
يزدحمون بسلاحهم ازدحاماً شديداً . وبعد ست ساعات من هذا العذاب
المبرح بلغنا راس الجبل فانتعشت نفوسنا بالهواء السليم وانتعشت صدورنا
بماطر الحضرة وبها الجمال والادوية الضرّة

وفي هذه الثقة التي قطعوها باعظم العناء اصابهم وبلى آخر شديد الادي
وهو لدغ نوع من المل احمر ونوع آخر اسود اكبر من الاحمر فالنوع
الاحمر يسير كالبحش الكثيف المزدهم ويتعلق بكل ما يعرض له بسرعة عجيبة
واما الاسود فطول الواحدة منه عقدتان (من الاصبع) ورأسه ضخيم ومنسراه
متينان جداً حتى يمسك بها العار والجرد وهو يحب الاماكن الرطبة وجوار المياه
وله اقدام غريب لا يهاب شيئاً ولا يفر من النار ولا الماء العالي ولدغته تكوي
كالليرة الهماة واذا امسك شيئاً فلا يتركه بالقوة مطلقاً وهو عدو المل الابيض
المشهور بآفريقية ويسر بالاكل منه وله عدو ايضاً من غل احمر يسمى هناك
بما معناه اللادغ الميت لان عصته موله جداً . واما الذبابة الممعة صمى فقد
ذكرها في القسم الاول من هذا الكتاب وهي منتشرة من حد صاف الجبل
الى صاف زمير

وبلاد او حوجي التي وصل اليها الركب بعد ان اختاروا شعب اوراجارا
ممتدة في نجد فسيح على مسافة واحدة من الساحل واورايا بني وسكانها ثلاث
امم الواراجارة والحولة والواججو واتبع بكثري سهولها وترى الماشية في
المصايب حيث يكثروا الكلاً لكن يسطو عليها لصوص واروري . واهل البلاد
يبعون التجار عملاً ولبناً وبيضاً وسمناً وكلها انواع عبر طيبة ويكثر فيها دجاج
فرعون ومن حيوانها نوع من ابن آوى ايضاً ناصع كالفضة وفي سهولها الغيل
والررافة . وهذه نمل من جلدها الثروس وعدد الخيل ولحمها لذيق غير ان

وجودها قليل لكثرة صياديهما

وهواء اوجوجي معتدل نافع للصحة وانر في حماءة رنتون تاثيراً حسناً حسداً وغنلاً فاجتازوا سهولة الارض الاكامية الممتدة من اوجوجي الى التيم الشرقي من اوبيا موارى . قال رنتون بعد اربعة اشهر ونصف من سيرها من الساحل وصلنا الى بلدة فازة وهي مركز اخص للعرب وقاعدة اوبيا يسمى التي هي اهم مقاطعات بلاد اوبيا موارى . فاحسن العرب لقاءنا بخلاف ما قبل اننا وكانوا لاسين الملابس الحسنة لم نر مثلاً عند غيرهم وقدموا لي كل ما طالت ولو بالاشارة ولم يقلوا شيئاً وحسوا عرصي لبذل ما اتوني به اهانة . وكان اغني رجل هناك تاجر محرب يقال له سناء بن امير جمع ثروة من صامت وناطق وهو اغني اهل امريقية الشرقية وكان قد اصاب بصدية فاضطر ان يقيم في فازة وله من المحارن المملوءة بضائع بين ثياب وتاج وحلي ومن العبد والماشية ونحو ذلك ما يحسب ضيقة راسها . وواسانا احسن المواسة وقدم لنا حمالين وتكمل شابه بصانعتا وهياً كل ما يازم ارجلنا وافادني بمجديته المعبود اموراً كثيرة فانه كان قد ركب بحيرة تنغايينا ودخل بلاد قراجوة واوحدة تنالي هذه الهيرة وعرف احوال تلك الامم وعاداتهم ولعائهم وكان كثير الاطلاع وله ذاكرة عجيبة ودكاء عظيم ومصاحبة وذلاقة لسان ولطف عشرة حتى عجت منه

ومدينة فازة محط الرحال للتجارة في امريقية الشرقية واقعة في قطر حصب سليم الهواء ومهما تشعب الطرق الى رربار شرقاً وبحيرة يابارا ومملكة اوحدة تنالا وبحيرة نعاينا وبلاد اوجيجي غرباً واوروري جنوباً . واسينها حسنة موافقة لراحة السباح وقد استوطنها العرب منذ سنة ١٨٥٢ فعاثوا عيشاً هيباً رعداً وترسل اليهم الفانس من رربار وفي خدمتهم كثير من العبد والحشرات وافرة جداً في بيوتهم

وبلاد اوبيا موارى طيبة التربة حسنة الفلاحة كثيرة الثرى جيدة المراعي يكثر فيها الثمر المسمن والماعز والعم والعيش هناك لذيد لصحة الهواء وحسن

الماظر وكثرة العصافير المعردة ونثر الوحش واسباب الملاهي . وللساء من
المجوز الى الصبية عادة التدخين بالعليون يحدن فيها لدة كبيرة وبحر حن
الدخان من اوقفن ومن وقت الى آخر يرطب اموهن بالدرة الطرية او
نحوها ويتحدثن اذا تركن العليون احاديت محنمة

والحيوانات في اوبيا موارى لا تختلف عن التي في اوزاجارا ولوجوجي في
الادعال السهلية والمحلية اسود وقرد ونمور وضاع وهرة برية . وفي السهول
الليل والزرافة والجاموس ونثر الوحش وفي الانهار التماسيح ورس الهر .
ومن القرد نوع يقال له ياي او الكفي الراس وهو في شمال البلاد منه احمر
واصفر واسود وكله كاسر . ونوع آخر يسمونه مبيجا عنه كثيفة الشعر وسعره
طويل اسود لامع وعرفه ابيض وهو شديد الاعناء سقانة حسده ويقول
العرب تأكيداً ادا لحنة الصيادون يرق مرونة شدر مذر حتى لا يستبدوا
مها شيئاً لاهم يتطادونه لاجلها واكثر مقامه الانتحار يقتات من ثمارها او
اخلاصها الطرية . والعرب يذكرون ان في حوار اوبيا يبي نوعاً من الكلاب
الربة ارتباعة نصف متر وله فروة قاسية سمراء داكنة وذنب طويل كتف
الشعر ويعيش طوائف كل طائفة من ٢ الى ١ وهو لا يعوي ويهجم على
الاسان والحيوانات الكبرى

وسكان اوبيا موازي يظهر اهم امودح السودان في تلك الاقطار لومهم
اسمر قائم هينتهم اعد عن هيئة اهل آسيا من هيئة اهل السواحل وتسعت من
ابدانهم رائحة كريهة جداً ويرسلون نعرهم حتى يصير طوله اقل من متر ويروونه
من الوراء حصلاً صعبة لولية ومجموعة على اللود كندماء المصريين ولحامهم
قصيرة حمية وليس في العارصين شعرة التة ويقتلون نعر شوارهم واهداهم
وهم اشداء طوال الاحسام نيجمان حشار الضاع . وشارة السب عدم ثلاثة
جراح تمتد من الخواحب على الصدغين الى قرب الدق وتارة تكون حرقاً
مثل تلك الخطوط تمتد من الجبهة الى الانف والرجال يلونون هذه الحدوت

بالأسود والساء بالاررق ويصفر على ذلك خطوطاً صغيرة تحت الاعين
ويعرفون بين الثيبين سكين حتى نصير بينهما من الاعلى زاوية فارعة وكلهم
يحاولون تطويل آذانهم

ولباسهم جلود الحيوانات الا الرؤساء والاعبياء فانهم يلبسون الفظن
والاولاد بنون عراة والنساء تنق صدورهن مكشوفة والرضع تحملهم الامهات
على ظهورهن واما الحلي فيرغمون منه اللائى الكاذبة ولا سيما الحمراء والبصية
الشكل الكبيرة ويعلقون في فلاندهم حرراً وصدقا واسنان فرس النهر والذي
لحيته كثيفة يعلق بها اولادها . وفي اصابعهم يحعلون خواتم صخرة من نحاس
وفي معاصمهم اساور من اسلاك نحاسية مجدولة ويعلقون ايضاً احراساً صغيرة
من نحاس وابايب من عاج . وفي الاسفار يتوحنون فرس جدي واذا اقاموا
ببدلونه فرس صغير فيه طلام من بركة المحما

ومن عاداتهم انه اذا قرب وضع المرأة تذهب الى غيصة وتلد ثم تحمل الطفل
ملعوقاً بمجد ماعز وتعمل ايضاً حمله من الحطب وتاتي الى بينها . ولما نتم النساء
فاذا اناست واحدة قتلوا احد التوامين فتعوض عنه الام بكر يب ثلثه ونقصه
سبعة من الفوت . ومن عاداتهم في الميراث ان تركة الرجل تكون لاولاده
من آمنه لان اولاده الشرعيين لم اقرءاء فلا يملوهم . وبربون الولد على رعي
المواتي فاذا بلغ السنة العاشرة من عمره سي راعياً معي فينخذ لنفسه كوخاً وبررع
قطعة من الارض نعا وقد استقل

وعادة النساء ان يقفن في بيوت آتائهن الى ان يدركن سن الزواج
فيجنمن لمات كل لمة اثنتا عشرة ويسون لمن كوخاً مفرداً وهناك بعض
على هوى النفس ويندلعن لمن يختار فليس ثم علاقات عائلية صحيحة

وفي كل قرية مجلسان كبيران احدهما خاص بالرجال يجتمعون فيه للهن
واللعب والمسامرة والآخر للنساء . ويكونان احسن وامن ساء من سائر البيوت
وهما النفوس والطلام على الباب وغير ذلك من الامتيازات

الفصل الرابع

• • • • •

في ما جرى لبرتون وسيلك بعد ذلك

في ٥ شاط سنة ١٨٥٨ ركب القبروان طريق العرب قاصدين بحيرة
تعايقا وكان برتون يشفي ان يستريحها وفي هذه المرة وصف برتون احوال
القوافل التي تتعاطى التجارة الافريقية قال . هذه القوافل التي تحوب شرق
افريقية ثلاثة اصناف مهم من يكون من اهل اوبيا موازي خاصة ومهم من
العبيد المامويين والباقون من العرب وقافلنا من هؤلاء على الاكثر لكن
الفرق انه لم يكن معا من اهل سيوتنا عدد يذكر . فوقت الحجج عدد صباح
الديك امرت نعتي العواية ان يصرموا النار فلبوا في الحال وشرنا الناي
والقهوة (عدد وحودها) واكلنا اقراصا معمولة بماء الرز ونحو ذلك وكان
الحرس حينئذ يصرمون الوقت بالانعام وهم حول حلقين على نار عظيمة يعملون
بالنول المحمص وشرب الشبع ونحو ذلك

وبعد ساعة اخذ الجمالون ينصرون من الرحيل وكانوا المارحة قد وعدوا
بالتشهير صاحباً لكن بعد حر النهار قرسهم البرد في الليل ولا سيما صاحباً
فتسكروا الحصى . وكان كثيرون من الباقلة اصحاب كسل وتوان وياتذون
بالتردد والعصيان فاذا اتفق ان يكون رايهم الغالب يلتزم الساتخ الاقامة والآن
قد تبصر له حملهم على الطاعة فيصيحون ويصرون بالشانات ويخفون

بالانفاق ويقولون هلا الرجل . الرجل . ارفعوا الاتقال احصروا الدواب
وهلم حراً فيأخذون في التاهب ويحمل رئيس الجمالة حملته ويرفع رايته .
وتكون من حوخ احمر قد خرقتها الاشواك وهي حاصة علامة الآتين من جهة
زنبار

وبما يكونون في الطريق تكون حلنهم مرتفعة ما بين خصومة وغاء
وصغير وتليد اصوات الحيوانات وغير ذلك ويريد هذه الصحة رجوع الصدى
من الوهاد المماوحة للطريق . وعند الصبح اذا وحدوا فيثا يطوي رئيس الجمالة
رايته ويبلغ الفبر اشارة الى الاستراحة فيضعون الاحمال . واذا استطلال المسير
الى الطهر يحمي الحر اولئك المساكين فيعيون

فاذا كان المساء لجأ كل منهم الى المكان الذي يختاره للمبيت ثم يستعملون
في تهيئة الطعام فيلثم العبيد الطعام التهاماً عجيباً حتى انهم يأكلون في ساعة قوت
اسوع . والذي ينتظم قول الداعي . الى الطعام . الى العلوقة . فينراقصون
بجمبة شديدة

وعند طلوع الفجر يصربون الطبل فيجتمع فتيان القرى المحاورة والبنات
حول المكان ويأخذون في الرقص . والحركات التي يعملونها عجيبة جداً لكن
الظاهر انها لا تنعم . وبعد ما يوتر فيهم الككل ينطرحون على الارض لينفسوا
نفس الراحة . ثم يجلسون فيأخذون غلايهم وينعمون حول النار باعاني
خاصة . وبعد ذلك ينامون وقد تسهر الساء الى نصف الليل يشتملون
وتاني يوم وصلوا الى قرية مسبني من ملاد اوسموة التي فيها مسبرم وفي
هذه القرية تمكث القوافل التجارية بصعة ايام فآذتهم الامطار العريزة ورطوبة
الملاد حتى لم يلبعوا قرية قد شتري الأوقداوى المرض قوة رنوت وذاق
عذاباً اليماً من شدة الالوجاع في كل حمده حتى قال انه رأى الموت عينيه
ولم يستطع حراكاً وقد احس من رجله فلم يكن يشعر الا بوخر الارل الكثرية
وخدرت بداه خدرأشد حتى يس من الحياة وهو بعيد نحو شهرين عن

اهل الصاعقة الطيبة ولم يسه الى عاية رحلوه . لكن بعد عشرة ايام استطاع ان
يركب حماراً وقص في الطريق مشاق لا توصف بين المحال والادوية والادعال
والانهار والحمر والبرد ونحو ذلك

تم قطعوا نهر ما لاجراري الذي يصب في البحيرة المقصودة وتحالوا عانة
ولموا هصبة يمتد منها النظر الى مسافة بعيدة ثم غير الدليل خط المسير فجأة
قال يرتون مضرت في البعد وراء الهصاب في محوة تساعة خطلاً لامعاً لم اميزه
اصعب بصري وما اعترض من الاتحار فسالت ما يكون هذا فقبل هذا ماء
البحيرة فاسعت اشد الاسف على هذا العناء الذي تكلفته لارى قطعة خيرة من
الماء وعمرت على الرجوع فاصد ان اللمح بحيرة بيازالعلي اسلو رويتهما نص
انعالي . لكن تددت عزمي وقلت انقدم مسافة اخرى لارى ما تكون النتيجة
فاشرقت نعمة من قبة اكمة على البحيرة المقصودة اي تعانينا فانجلي لدي منظرها
الحليل العجيب فنزلنا في طرق متعرجة بين الهصاب المتنوعة الصلة الى ان
لبعنا البحيرة فرايت بعض شاطئها رملياً والعص مكسواً ، الاتحار والخثرة وفي
سبعة صافية ررقاء تهمع المنظر ونهر الجبال من ورائها كالسور المنقطع بعضها
اررق وبعضها مطمح بلطخ بيضاء من الصباب وبعضها معني بالصحاب وتنبهي
عبد الشاطئ ، فارات (اي اكام مسردة) مستديرة ويدخل فيها منها راس
مستطيل يأتي من ورائه نهر ما لاجراري ويبيض مياهه الوحاية في البحيرة . ورايت
فيها بعض جرر وحولها عدة قرى لكل قرية سائين وزروع حسنة والصيداودن
يطوفون فلوارهم على سطحها

وثو النبات هناك غريب واشتراك الاشجار والعتب والوعوج العجب ملق
كان في خلال ذلك ابنة حسنة وقصور وما شاكل ذلك لكان مطار تلك
الفعنة من الارض اجل والهمح ماطر الدنيا . فانهج قلبي جداً لبلوغي هذه البحيرة
الجليلة الشان حتى سبت الاتعاب التي قضيتها في تلك القنار والمناقع الهائلة
وكان كل الناس مسرورين معي حيثئذ حتى اخس العبد

وموقع هذه البحيرة بين الدرجة الثالثة والدرجة الثامنة من العرض الجنوبي وفرت الدرجة ٢٧ من الطول الشرقي من هاجرة غريوتش طولها نحو ٢٠٠ ميل انكليزي وعرضها بين الثلاثين والاربعين ماؤها عذب وفيها شيء كثير من انواع السمك لذيدة الطعم وعلى شاطئها الشمالي قنائل الواويرة والواردي وعلى الجنوبي الوائمة. ومقاطعة اوجيجي حيث وصل برتون وسبك على شاطئها الشرقي على مسافة نحو ٥٤ ميلاً من ساحل زربار ومدة السفر كانت ٢٢٢ يوماً وفي ١٤ نشاط سنة ١٨٥١ ركب برتون وسبك وخواصهما فلكاً عربياً من قرية اوقارنجة فاجتاز بهم البحيرة في ثلاث ساعات الى قرية فاو لي اكر قري اوجيجي فزلوا وانلقا حثوراً عبراً من السودان محدقين بانصارهم اليهم كأنهم مذهلون ومع ذلك يصحون صيحاً عربياً ويتسربون الطول ثم زلوا مارل العرباء على شاطئ البحيرة فكانت الرطوبة هناك لا توافق صحة السائحين فلم يتعافيا تماماً

ولاد اوجيجي تحسب احتسب شعة في ذلك القسم من افريقية لكثرة نباتاتها وشدة نموها الطبيعي وكل النباتات التي تحتاج الى شغل في غير اماكن لا يتكلمون لها هناك شيئاً وهناك كل انواع الفول والمار افريقية نقصد من الاطراف وهناك ايضاً انواع الحيوانات الكبيرة كاللبل ومرس الهر والتمساح والحاموس وكلها كثيرة العدد ومن الكواسر الصع والكلاب البرية الوامرة حذاً. والطيور المائنة تعيش من سمك البحيرة. وتكثر الحيات والتمساح والعنارب وانمل الابيض والاسود والعاك وكثير من الحشرات الكريهة والهوام فتتلا المارل حتى يكره الانسان الاقامة معها وزد على ذلك الدباب القتال للبهائم وهو الصبي

واهل اوجيجي اشداء السبه حالكو السواد وايديهم وارجلهم عريضة حذاً وحرركاتهم عنيفة قاسية ونظرهم حاد وكل اطوارهم في غاية الحشونة والجفاء. والنساء يتصلبن بالوقاحة ان يدخلن منازل العرباء ويستلبن ما تنال ايديهن

ما يروق لظنهم . وكلهم يدهسون ابدانهم بالربيت ووحوشهم وشعورهم برعوبها
 بالمررة او الحواري فيكون مضطربهم من اسع ما يتصور ويستعملون ايضا الوتم
 والروساء يجعون الثياب الماونة ياخذونها من العرباء ماي وحه كان ورساء
 الاغنياء يلبسون ثيابا زرقاء او حمراء واما الفتراء فيلبسون جلود الحيوانات الدرية
 ولسائهم منرر مسوح من لحاء النختر . وحليم فلانثد الحرز والماع والصدف
 واساور وحوام فارية . والسلاح فؤوس ورماح وقسي كبيرة سهاها صحة ثقيلة
 والسارق بادرة الوحود ولا تكون الا عند الروساء .

ومن طعمهم الوقاحة والرفاعة والطع والنهم على لغة العرباء واعمالهم واذا
 خدموا العريب خذمة حنيفة يغالون احرة فاحنة ولا يجنرمون الصيف
 ولا يراعون حاش الاساية ويتعودون الشر والحماء من الصعر ويستعملون
 العص والتحميس كالمرة الدرية . ويكثر من شرب المسكرات ولا طعمة
 الوحمة ولا يبالون بالنظام

وكان حاكم قاولي شرسا مستندا حاشي الطع فاني يرتوف وسيل مة
 خشونة عاقبها اياما لانه مع كل احدا بركها فلكننا لاستفراء الهيرة وفي
 تلك المدة تحسنت صحتها واحيرا اتجها في قارب الى جزيرة قيوتر حيث ينم
 رجل عربي اسمه حميد بن سليمان فاعطاها شخورا يطوفانها

وقال سيك كنت تلك العاقبة بعيدة لضعفي لاني كنت اواط على
 الاعسال والتزه بالهواء الرطب مساء وصاحا . ومن عادتهم انهم يصنعون في
 المكان الذي يتسالمون فيه من الهر فروعا من شجرة خاصة يعررونها في نعر
 الهر على مسافة خمسين بردا من الشاطئ ويجعلونها كالحظيرة ويعتقدون ان
 التماسيح لا تدخلها لانهم يحسبونها طامسا

وكنت وقت الظهر آخذ تمسقي واقصد السوق لاستبدال الصنائع ونفام
 السوق من قبل الظهر ساعتين الى العصر قرب الميا . يسون بعض اكواح
 من اغصان وفروع ثم يفتوصونها كل يوم . ويبيع في السوق السمك واللحم والنبع

وريت النخل والمسكرات والطاظة والمحرشوف والفول وقصب السكر وكثير
من الفول والعاج والعبد

وفي ٢ اذار ركب سبك رورقا مصوغا من حدع شجرة منور وكان
اصحبه عشرون رجلاً فنصوا اول ليلة عد الشاطيء تحت المطر الشديد
والهيار بعدها كذلك ثم تقدموا على الشاطيء العربي من البحيرة وكان الساحل
هناك مستوعراً كثير المضارب والادغال وفي محطة بالنقطة الشمالية من البحيرة
ومثل ذلك عند مصب النهر وهناك التماسيح وافراس الماء بكثرة كانت تطار
اليهم طاراً جامداً وفي نهم ونفخ حفاً

ثم احتاروا عرض البحيرة ولبعوا مجموع جرر قرب الشاطيء العربي
اكرها قبويرة ثم قاسحة وفابيزة وطول قبويرة خمسة اميال وعرضها ميلان
وفي كثيرة الشجر والسكان وتكثر فيها الدرة والبطاظة والطير واهلها يلبسون
خلود الثرود السود والهرة وغيرها يشدونها برار على وسطهم ويحملون جلد
الراس يتدلى من الامام والذنب من الوراء . وهم من النطل على اعظم حاسب
فوق حصونهم ثم رجع سبك ولم يتسرفه استغراء الوجه الشمالي من البحيرة فعزم
رتون ان يعمل ذلك وقد سمع الناس يقولون ان نهراً كبيراً يخرج من تلك
الجهة ويجه تمالاً ونصب حداً مع الحاكم حتى اعارة رورقين على شروط فاحتة
فكان في احدهما رتون والحاكم و٢٢ رجلاً للتخفيف وفي الآخر سبك وجماعة
من النوبة وقصدوا المضي الى سوق عويرة في جهة الشمال العربي من البحيرة
حيث يفر العرب بالعاج والعبد . فمروا على الشاطيء الشرقي الى جهة الشمال
وكان الساحل كثير الجمال والحصرة ومن مسافة الى اخرى تصب مياه السهول
الى البحيرة من محوات الاودية البسيرة وهناك منازل خيرة للصيادين مبنية
على شكل خلايا النخل وليس في المنزل الا الثلاث الاثاني وحصير بنام عليه
اهله . وهم يجلسون وقت الراحة في ظل النخلة ويعلقون فيها شاكهم
وعادة النوبة هناك انهم ما داموا سائرين يلازمون الفناء والصبر وضرب

الدخوف فيكون لم صحب مرعج إلا اذا جاس ماء البحيرة بالرجع فيصمتون
ولا يحسنون التخييف وايدبهم بقيلة بحيث ينفذ المخذاف الماء الى وسط الفلك
فيال ركانه وكثيراً ما انار عليهم سبيك وعلمهم كيف يقومون حركاتهم في
التخديف يلم بالوا وكابوا نارة بمخدوفون نصف شديد حتى تسقط قوتهم ونارة
يتوايرون حتى كانهم يتسلون تخريك المخاديف . ونارة يتصادم الملكان
فينشأون ويتهايرون ويقدمون الكلام الحشن المألوف عديم وفي فترات
كبيرة كابوا يقصون الوقت للاكل والشرب والتدخين وكلما سلعوا قرية تقع بهم
الخصومة لان العص يريدون الوقوف والعص يطلون القدم ويكون رئيسهم
حالمًا في احسن موضع من الملك لا يقوم بامر ولا نهى الا نادراً فاذا دنا
الملك من الشاطئ يتواتب الوتية من غير ان يستادوا . واذا قصدوا المبيت
في مكان يترقون بعضهم للاضطراب وبعضهم في طلب الراد وبعضهم يسون
الاكواخ من اغصان النخيل وسنائف اللحاء على هيئة نصف دائرة وبسع الواحد
خمس اشخاص الا ان ارحلهم تنق حارحاً . وبالاختصار لم يكن في اعمالهم قابون
قال بنزون وفي ١٩ ادار احتزبا البحيرة وبلغا الساحل الشرقي من
حريرة او واري ثم دربا حول النعم الشمالي من البحيرة واقما يومين في الساحل
العربي بين الرياض والحائل . وكما سمع ان الناس هناك ياكلون لحوم البشر
فعلما ان ذلك ناتج عن شدة المافق والكسل في العمل وجهل الزراعة مع ان
الارض شديدة الخصب ويلجأون الى اكل الجردان والرواحف والحشرات
ياكلونها بيئة لشدة كسلهم وهذا يدل على انهم لا يامعون من اكل لحم الشربث
ايضاً وهم في اسفل درجة من سلم الانسانية ياكلون الجيف وجثث الموتى اكثر مما
ياكلون اللحم الحي

وفي ١٦ منة قطعنا مرعجاً آخر من البحيرة وبلغنا عوميرة على شاطئها العربي
فوجدنا اهلها اصحاب انس وعواصاة للغريب فازدحموا علينا فرحبوا وسلموا
بالاصوات والآلات تسلية عظيمة فكافأهم اصحابنا بمحلاة رقص وغناء في حيز

الرزانة والوقار وهكذا ملغنا آخر محطة تجارية من ذلك القطر فرايا هناك
العاج والعبيد بكترة بوتي بهذه الصاعة ونحوها من أواسط افريقية وتدل
التبع والمحز والنياب الأوروبية. وعلمنا شيئاً من الموانع التي تعترض التجارة
في خرقهم ذلك الحد

وفي ٢٨ نيسان راربا اولاد السلطان ماروتا الثلاثة وكانوا تسافراً ظرفاء
استد' ولم رشافة في الحركة المدنية ونظام في الهيئة والاعضاء وعيون ررافة
واسنان كالآلىء النقية وفي اعناقهم ومعاصهم فلاندا واساور من عاج فسالهم
عن الهر العجيب الذي يجرح من اعلى البحيرة فقالوا انه موجود لكن يدخل
اليها وقد راوه ووافهم المحاصرون بشهادتهم

فتعجب ررتون من ذلك وكان يظن ان ذلك الهر من حملة يباسع النيل
واحتشد كثيراً في اقاصع رفاقه لينتدوا الى ذلك الطرف من البحيرة فلم يفلحوا
وقالوا انهم يحامون من آكلة لحوم البشر وحتوتهم هناك فعادوا الى فاولى
ووصلوا في ١٢ ايار بين العوارض الشاقة. ومع ذلك اعادت هذه السمرة ررتون
وسبك في صحتها وان كانت قليلة المائدة في مقصدها وفي ٢٦ ايار بعد
انقطاع الامطار حرجا من اوجيبي التي اياها اتد العماء وقصد المسير في
طريق فارة وبلغاها بعد ٢٦ يوماً بين المم والكدر من تصرف الجماعة اي

الخصومة والعور والشرد والعدا والعصيان والفتن والشعب وهم حراً
وكان من حملة من صحب الجماعة حاكم اوبيا موارى وقد تاحر عنهم لانه كان
قد اشترى امة سوداء فاتفق ان حرجت رحلها في الطريق فلم تقو على
المسير وراى انه مضطر الى تركها فنتطح راسها لئلا تكون لاحد غيره

ولما بلغوا فارة اقاموا اياماً للاستراحة ولقوا الحسى من صيافة العرب
ولاسيما الناضل ساء من امير. وكان المرض قد احبب الجميع وعجز ررتون
عن المسير واما سبك فكان قد نعاى عداودة الرحيل فعزم ان يصي
جماعة قليلة في الجهة الشمالية من فارة ليكشف خبر بحيرة يسميها العرب بمانزا

ويقولون انها اكر بكثير من نعايتنا . فتخص في ١٠ تموز
 وكان طريقه في خط شمالي مستقيم في تحد سليم الهواء ارتفاعه عن البحر من
 ٢ الى ٤ الاف قدم وفيه من المقاطعات اوبيا يمي واوبيا ميوه وواحدة وسلاوى
 واولسوقوما والارض هناك منها سهول ومنها جبال ومنها وعور ومنها رمال
 ومنها احراش ومنها مراعي . ولم حراً واهلها عبدون اشداء
 وحينما صاروا في بلاد اوسا حاري التوا فاطلة اخرى آتية من جهة البحيرة
 وسلم الدليلان احدهما على الآخر نسلماً استعربه سبيك وذلك ان المادة عدهم
 اذا التفت فافلتان في طريق واحد ان يتقدم احد الدليلين الى الآخر ويتماطحا
 كالكتات حتى ينع احدهما فيبع الناس صحكاً وترتفع الحلة ويجدد عن الطريق
 الفيروان الذي على دليله حتى يمر الفيروان الآخر

وفي بلاد مسلاله توجد مناظر طبيعية جميلة ومراعي حصية تسرح فيها
 قطعان النمر الكبيرة واهلها عدد غدير . وبلاد اوحوحو الواقعة على طريق
 الفاصد الى اوجيجي موصوفة ايضاً بكثرة السكان لكن يكون السوداف على
 حامي الطريق مردحمين اردحاما عظمياً حتى لا يمر اساء السبل الا يجهد لكثرة
 نطفهم وذلك لانهم قلما يرون رجلاً ابص فيدهشون لرؤية من يمر هناك
 من البص

قال سبيك ولما فارقنا قرية من مناضعة سلاوى في ٢٧ تموز رايانا نعة
 عموداً من الصخر الجوبي شديد الارتفاع وعند اسفله قطع عظمية من الصخور
 فتعجت من هذا المطر الطبيعي وكيف وجد بهذه الغيتي في تلك الانظار . وبعد
 ان سرنا ثمانية اميال رابت عموداً آخر اعلى من الاول يجاور كل الانجار المحيطة
 به . وقد اتخذنا هذين العمودين دليلاً اميناً الى مسافة تساعة من الطريق
 لانها يشاهدان من بعد ثمانية اميال

ولم يرالوا يتقدمون في تلك البلاد الحصنة الصخرة الثمانية الماطر الكبيرة
 السكان والحيارات عدة ايام وفي ٢ آب تجاوزوا قرية ايساميرو ولعلوا حصنة

سماها سيك سمرست

قال فلما قربنا قمنا وقع بطري على بحيرة نيارا الفسيحة الجواسب الجميلة المنظر
ولشدة بعد الافق لم اقدر ان اقدر سعتها ولم ارا ايضاً طرفها عن شمالي لا اعتراض
مجموع جزر شاذة سميتها ارخبيل نعال ارتفاعها عن سطح البحيرة من ٢٠٠ الى
٢٠٠ قدم واما عن يميني فليس الا حريرة اوفيريوي تكون آخر ما يعترض
الطر من جهة الشمال العربي هذه الجزيرة وحريرة مزينة العبد عنها نحو ثلاثين
ميلاً تطهران انها الساحل الشمالي من الريع الشرقي من البحيرة وكما تعرف اسم
الاولى لان العرب دكروا لما البحيرة ناسها والناية اكبر منها وتشكلها كطهر
الخنزير. والخنزير يكثر في كل تلك الجرائر وتظهر قطع الصخور بين الادغال
كالحوم وتنعكس صورة كل ذلك في ماء البحيرة الصافي فليس احتمل من تلك
الماظر الابقية

ورابت السهل العظيم تحت الهضبة التي كما عليها ممرنا بالمخاض والمخاض
والقري متورة فيه بين الساتين النضيرة والغرق بينها كماها الماشي في روضة
لندن. واول قرية بلغناها قرية موازة وكانت غاية سرياً وهي في مرج كبير
الرروع حسن الملاحه

ولكن كل تلك اللذة الطبيعية الحسية لم تقارب لذة فكري نشان الفائدة
الجغرافية والتجارية التي طالما احتهد الناس في الحصول عليها اي تصوري ان
هذه البحيرة هي ينوع الهر الهيب (اي النيل. لان سيك حاول اظهار
كون النيل الابيض يستق من هذه البحيرة الكبيرة التي اكتشفها)

ولكن اسو حظ هذا الرجل وحط العلماء حينئذ لم يصادف اساً ولا مواصله
من حاكم قرية موازة لجهة طواف البحيرة نعم انه احسن ملناه لكن لم ياذن له
ان يركب فلماً ويدخل حريرة اوفيريوي ولا التطواف في قسم من البحيرة
فاضطر ان يكتفي بتقريبات الاهالي وتجار العرب. فذكروا له ان البحيرة ممتدة
شمالاً الى مسافة شاسعة جداً حتى قالوا لانهاية لها ويخرج منها هر اسمه قيروبرا

يجري على الصخور حرياً شديداً منجهاً الى النيل فاستخرج سبك ان هذا الهرم
هو عين النيل والصحيح انه لم يصب في رايه. وان على شاطئها من جهة الشرق بلاداً
لا تعرف ارضها ولا اهلها. ومن جهة الغرب تتواصل الجبال التي تنصب مياهها
الى بحيرة نعاينا شمالاً والقوئل العربية التي تسير من قازة لتخرج في مملكة
قراغوة وواحدة تمر في بلاد دات هصاب ووهاد وافرة الزرع والصرع تشتهر
انهار كثيرة وتنصب في بحيرة بانزا

ومملكة قراغوة كثيرة الرطوبة وللأمطار فيها فصلان وتسلطن فيها
ريجان كما في اويامواري الاولى مردوجة نمالية ونمالية شرقية واسما عدم قنسا سي.
والثانية حربية نصحبها الامطار العربية واسما قوسي ويكثر معها الرعد والبرق
ويأشرون الرع في اول وقوع المطر كما يفعلون في ميسي ووججي
يعزفون اولاً الارض الى عمق بعيد ويررعونها ذرة صبرا وحاورساً وغير حبوب
واما الرز فلا يعرفونه اكثر زرعهم الذرة ويررعون ايضاً نوعاً من الن الرمي
اسمه موامي ويكون مرأخف الس. والبول ايضاً صعب الحداً. وهذا
الن لا يستعملونه استعمال العرب للثروة بل يطرحون منه قصة في الماء العالي
ويسربونه اذا انحلت منه حوهره. ويقول العرب هناك انه مهيج حداً ومرطب
وطعمه قريب من طعم فول محام

والفر عدم لما سام صعب وقرون كبيرة كما في اوججي وعويرة
وبعدونها بحساب النيران الواحد منها مائة مائة مرة وكان للسلطان حينئذ
٢٠ ثور عارة عن عشرين الف مرة. والماشية اساس روية الاهالي واكثر
طعام الاغنياء لبس الفرمزوحاً بعسل الجبال

وتوالي قراغوة بعد اجتياز نهر قاتجا يصل المسافر الى قرية قبيوحا قاعدة
مملكة اوحد وفيها مقام الحاكم وهي محط رجال العرب الآتين من قارة نخي
الشمال. ويقولون ان هذه اللدة اي قبيوحا مسيرة يوم طويلاً ومنازلها منية
من النصب والقسا. وطول دار السلطان كيلومتران مولدة من اكواخ مستديرة

مصنوفة صنوفاً وامامها سور من الاوتاد اربعة ابواب على كل باب حرس
يدق عند قدوم الاحابس وعليها مئات من جنود المحرس عليهم اربعة رؤساء
يبدلون كل يومين ويبتون الليل تحت الطرף اي الحيام من الادم ينتظرون
امر الملك ويبدلون حياتهم في خدمته

والحرم مولف من ثلاثة الاف شخص بين نساء واماء واولاد ولا يحس احد
ان يتجاوز البرزة وهي قاعة الملك للاستقبال واحراء الاحكام والطر في الهدايا.
قيل وكتبراً ما تحرق الصاعقة منارل الملك فيلتم الجنود ان يطفئوا النار
باحسادهم بطرحون وينقلون عليها حتى نحمد. وعدد الجيش لا يكون اقل
من ثلثائة الف واذا عرض يجب ان كل حدي يقدم بصة. ولكل منهم ربح
وحرثان ومرراق وترس وليس هناك سيوف ولا قسي

واذا مشى العسكر للحرب نعتة النساء والاولاد بالراد والماء والسلاح.
واذا اشتهك القتال بضربون الطول صرناً مستمراً محالماً ينقطع صوتها بهرون
ولا يزال اهل اوجدة في الفس مع حيراتهم الوايورو والواسوطة وغيرهم واذا
نحدثت نار الحرب مدة يحاول الملك وحود علة ليكنع بعض اللاد ويعيش
ويهب ويقتل ويسر حتى يملأ خزائنه من الغنائم. ويكثر من التل صبرا
حتى تكون ايام يقتل فيها كل دعة عشرون شخصاً معاً

وكثيراً ما يخرج الملك للصيد ويلزم حوده ان يقاتلوا الوحوش بلا سلاح
ويعلموا الغيل بكثرة العدد ونط واذا دخل قرية يصيح صيحة فيجبه اهلها باصوات
المير والشماطات ونحوها من الآلات

والآخر ملك على عهد رزنون وسيلك كان يقال انه سنة مات سنة ١٨٥٧
كان يكثر من عرض عساكره الجراة ويجلس على باب بلاطه وبده الهمي
حرية واليسرى سير مربوط فيو كلب صم الجنة وكان يحب صراع حنوده فلا
يرالون يتصارعون حتى يقتل بعضهم وكان ينجح حظيرة بررب فيها الساع
والقيلة فاذا حكم على احد بالاعدام بطرحه لديها مفرقه وتترسه. وكان يحب

كل ما فيه غرامة

ويقول العرب انه كان احمر قوي النية مهيب المطر يخلق راسه ويرجي ذواته ينظم فيها الحرر واللولؤ ونحو ذلك . ولا يسمح بذلك لعبده . ومن ماموري ملاطه الشحنة يتصرف في امور البلد ويسود على اصحاب الولايات ومهم القائد الاعظم تحت امرته جنود الحرس والعبيد والعسكر وبناء الملاط والقضاء في العاصمة بيد الملك وفي الولايات بيد بواب . والنصاص عديم عرامة او قتل ليس الا . والذي يحكم قتله اما ان يصربوا عنقه او يجرقوه او يسلموا جلده حياً . واذا مر احد المحربين تحرب فريته كلها ويذبح رجالها وتقتل نساؤها

وليس لاهل تلك البلاد شيء من العطية والهم وانق يوماً لسبك انه جعل يسال احدهم عن امور بسيطة كاسماء الاعداد والملاط ونحو ذلك فنصى العدا ب من قلة فهم وحسوبة طبعه وذلك يظهر ما ياتي

قال اردت يوماً ان اسئلهم عن هذه الامور فكان الكل يتروون مني ان يسئلون كاسم صم نكم فصالت واحداً عن اسماء الاعداد في اعطهم وقت له اصبح يا اخي نحن نسي الاشياء بلغة الساحل بحسب ترتيبها هكذا واحد اثنان ثلاثة الخ وجعلت اشير ما صبغي الى بعض اشياء موضوعة نرتيب لعلهم بهم ما اسأله فكان يقول لي . هو هو . نحن نقول اصبع . فنقل له ما هـ ما يسالك الرجل الابيض بل يريد ان يعرف ما نسمون الواحد والاثنين الخ فنقول واحداً اثنان ثلاثة اي شيء . من العنم ام المعرى ام النساء فقال الترجمان اي شيء كان ليكن فالمراد ان يعرف كيف نقول واحد اثنان ثلاثة بلغة وابوقا . فقال هي هي . وما يريد الرجل الابيض من الوابوقة . وهكذا نقيما مدة لا تعرف ان سهه المراد اشدة غماوتو

وفي ٢٥ آب رجع سبك من رحلته وقال يرتون واخبره انه راي مع النبل فلم يصدق وطال الجدل بينهما حتى قصدا الذهاب معاً ليتقننا الامر

فجهرًا قبري وأنا وسافرا وقصيا مشقات كثيرة وهرب كثير من العيد ورادنتكي
الحمالين وتمردهم واصابت الحمى سبيك في قرية حمة لشدة برودة الهواء الشرقي
وصمت احدي اديبه والنهت احدي عيني وانفخ وجهه واستولت الاوجاع على
جسده وكانت النوب شديدة جدًا حتى خيل انه حن وتغير حدًا حتى قبل
انه لا يعيش وفي بضعة اسابيع حتى تعافى شيئًا

في ١٢ تشرين الاول حرقوا من حنجة التي كانت نحسًا على سبيك ليرجعوا
الى الساحل وكان ذلك خاتمة هذه الرحلة المهمة ممصوا من اوجوجو الى زنجوميرو
في ١٩ كانون الاول وفي ٤ اذار سنة ١٨٥٩ دخل مرنون زبربار ومها
مصي في ٢٢ اذار الى عدن ورجع الى اوروما . واما سبيك فبلغ انكاثرا ولم
يشف عليه فكتب رحلته ورجع ثانية لاكتشاف بحيرة بيانزا وبنابيع النيل .
وهكذا كانت رحلة مرنون وسبيك من احل الرحلات تأسًا واعظمها فائدة



الباب الثالث

في البحث عن ينابيع النيل الابيض

— — — — —

الفصل الاول

اهمية هذه المسألة - الهمز الابيض - خرطوم الرحلات المصرية
- برون رولى - النجار والمرسلون

انشرنا في القسم الاول من هذا الكتاب اشارة خفيفة الى اهمية المسألة المتعاقبة
ماكتشاف ينابيع النيل . وفي هذا الباب راينا ان نشرحها ترحماً مستوفياً . فنقول
ان هذه المسألة قد شغلت خواطر العلماء منذ أكثر من عشرين قرناً غير ان
البحث حرى فيها محد ونشاط منذ نحو نصف قرن
وكان هيرودوتس المورخ اول من تكلم فيها ثم تبعها بطليموس بعض
البيان واشتغل بها قيصر الروماني وجغرافيو العرب والبرنوعال فكثرت عن
مقدرة البشر وزادت اهمية في خلال الاعصر الماصية . وقد سفتك دماء كثيرة
وهلك في شأها جمع غفير من المعرّبين بانفسهم ومع ذلك لم يصعب عزم اولي
البسالة ومحي المعارف فدلوا المجهد وخاطروا بالنفوس والمال وما اسكوا حتى
حلوها في السنين المتأخرة

فهذا الهر العظيم الجليل النان هو السبيل الوحيد لسلوك التمدن في
 اقطار افريقية الوسطى . فواصل المرسلون الكنائليك الى قرب خط الاستواء
 وبواسطته عرفت القنائل الكثيرة البربرية وعوائدهم واخلاقهم واعمالهم وهلم
 جرأ وقد وجد الملاحون السابقون تقدمهم في البلاد ان النيل محاري كثيرة
 تصب اليه من أكثر جهات افريقية الوسطى بعضها يحد من بلاد الحبشة
 المحلية وبعضها يشق الليافي جنوبي دارفور والهر نفسه يتقدم كثيراً نحو الجنوب
 وهذه الجداول المذكورة وسيلة للانصاليات التجارية في تلك الانحاء . ومن احص
 اصناف تلك التجارة العاح والضع وحاصلات الاقطار المدارية وكلها تنبص
 فيصاً على السودان ومصر . وكل نعمة اكتشفت على صراف النيل كانت واسطة
 نجاح عظيم للتجارة حتى اذا قام بها الناس حتى القيام تكون من اكبر وسائل
 النجاح الادبي والمادي عند تلك الامم . وقال سبيك اذا كان النيل يستحق حنيقة
 من البحيرات الكبيرة التي يكثر في انحاءها الفطن والنيل وقصب السكر والبن
 والنع والماشية المرافرة من نهر وعمر وغير ذلك فلا بد ان السياحة في المستنيل
 في تلك الاقطار تأتي موائد حمة

والنيل اصلان عظيمان كما هو معروف الآن بمجمعات في الدرجة ١٥
 والدقيقة ٢٠ من العرض الشمالي فالشرقي منها يقال له البحر الاررق وهو
 معروف معرفة جيدة يحد من جبال الحبشة وينزل تسلاات كثيرة الى سهول
 السودان الشرقية فيأتي بالمحري الجنوبي وهو النيل الابيض . وكان الاوروبيون
 لا يعرفون عنه شيئاً حتى سنة ١٨٤

وكان العلامة روس قد وصل الى يبايع النيل الازرق سنة ١٧٧٠
 ووصفها وصفاً مدقناً لكن سبقه الى ذلك راهبان رتو عاليان اسم احدهما نابير
 والآخر لوبو . فإراد روس ان يخصص نفسه دونها بغسل هذا الاكتشاف
 وطن فيها وافسدا ما كتبه وسب كل شيء صحيح الى نفسه لكن ظهر الحق بعد
 ذلك وعرف ان الفضل كان لنابير

وعلى ملتقى النيل الازرق والنيل الابيض قائمة مدينة الخرطوم . وينشر
 الهر بعدها حتى يكون كالبحر الراكد يشتت عن زرقة الجو وأشجار ضفتيه
 واذ كان موقع الخرطوم اجل مواقع المدن السودانية والبليدة كانت اهميتها
 التجارية تدعو الى ازدحام الاقدام بها فيوتى اليها بالنيل الازرق بمجاولات
 سار والمحطة وكردمان وغيرها والنيل الابيض محاصلات افرقية الاستوائية
 فتكون السفن عندها مائة الهر في مسافة اربعة كيلومترات ومنها نوع يقال
 لها الذهبيات وهي كبيرة يضاه القلوع تفيض بها العاج وقرون الكركدن
 والصنع والقطر ورمل الذهب والسا والاختشاب الثمينة وريش النعام وجلود
 البقر والذرة والعبيد . فدى من الناس هالك اشكالاً والواناً بين سودان
 وعرب وافرنج ومصريين على اختلاف اريائهم وهيئاتهم . وحول المدينة على
 الهر سائتين فصرة ساعة الطلال كثيرة الاطيار طيبة التمار بين عنب وتين
 وليمون وغير ذلك وفي الهر هالك جرر صعبة يررعون فيها النواوون
 والطح ونحوها

وفي الخرطوم جهزت الحريدة الاولى المصرية بامر محمد علي باشا فرحلت
 الى جهة الجنوب في ١٦ تشرين الاول سنة ١٨٢٩ . وكانت مولفة من اربعمائة
 رجل من العسكر المصري المقيم في سار . فركبوا من السبع خمس ذهبيات
 كبيرة ارسلت من مصر وتلاتاً اخر اخذت من النيل الازرق وخمسة عشر
 رورقاً فيها الدجيرة ولم يكن معهم من الاوروبيين الا رجل واحد كانت الرحلة
 محصورة به واسمه تيو فلم يصادفوا نجاحاً ولا اذى هو موائد جبرانية تسحق
 الذكر . لاهم سافروا في ايام شديدة الحر وتكلموا بمصاريف فاحشة فاضطروا
 الى الرجوع قبل بلوغ الدرجة السادسة من العرض . لكن عرفوا بهذه الرحلة
 حجة محرمي الهر والاقطار التي يستفيها . وذكر بعض مقدمهم انه اجنار بلاداً
 قليلة الجبال ترى فيها نارة غياض كبيرة وتارة سهول فسجة متعينة كثيرة النصب
 والاعشاب العالية . وعلى صفتي الهر في تلك الملاد فرى مخلفة المنازل

باختلاف القنائل . وبعض اولئك القنائل اصحاب طمع وحرص ونزود
وخبت كالشلق والور والبعض اصحاب دعة وسكية ومواساة للعرماء

وكان المجنود المصريون حينئذ يجهضون السودان لدنايتهم وخفارتهم
فاساؤوا التصرف معهم وظلمهم وجاروا عليهم في ما يملكون حتى نزع المساكين
بعد ذلك من مواصلة البيص حذرًا من مثل هذه الاساءات . قال نيسو في
ذات يوم انانا هوؤلاء القوم ظلم كثير وتعبوا ومعهم رماح وسهام وكان بعضهم
يرقص فقال الترجمان ان لم نوابا سريرة فكل قولك كافيا لان يذل فيهم
السيف ويطلق عليهم الرصاص فقتل كثيرون وفرت شزيمة قليلة الى القرى
المجاورة فتك العسكر في اهل القرى وعاص كثيرون منهم في بحيرة هناك
فرموم بالرصاص حتى استحال الماء دما وغشي سطح البحيرة عدد وامر من المخت
وفي ه شياط خرج الترجمان سدقنيو للصيد فرأى رجلاً ومعه اسانلة
عمر الواحد نحو عشر سنوات والآخر اثنا عشرة وكانوا ينجسون الدبو من
الرواق . فصاح بهم المحدي ما احاسوا فاسرع المحطى حتى ادركهم فقتل الاب
واسر الولدين وهما يوحان

وفي ٢٢ مة رأى بعض المجنود رجلاً وامرأتين حاملتين على رؤوسهم مراود
فدنوا منهم وقتلوا الرجل وسوا المرأتين

وبعد هذه الرحلة جهزت جريدة اخرى لاكتشاف ينابيع النيل وكان
فيها جماعة من الاوروبيين من حملهم اربود وساني وورر وهم الذين كتبوا
التفريعات الوافية عن تلك الرحلة . فصعدوا النيل الابيض في ٢٢ تشرين الثاني
سنة ١٨٤٠ ماحد عشر فلكتا كياراً وقطعوا مسافة ٢٣٠ ميلاً متراً وبلغوا بلاد
باروشيري الى الدرجة الخامسة من العرض الشمالي . فارتفعت الارض هناك
وتعبرت المناظر وكانت الادعال كثيفة على صفتي الهر والارض كثيرة الهصاب
والسهول والمروج والقرى . فكان الاهالي هناك متمردين لكن احسوا الى
الجماعة وقد مو لم حما وعاحتا وذرة وبوغا من الشراب يعمونه جايا (علمها الجمعة)

وأمة الباري هذه طوال القامات ضخام الاحسام لا يلبسون شيئاً من اللباس
بدّهون بالمغرة ويلبسون حلى العاج والحديد الا ان زعيمهم يلبس قميصاً من
الحمام الازرق . وهذا دليل على ان لهم اتصالاً وراً الجبال الشرقية مع تجار
العرب الآتين من ساحل زنجبار

وكان الاهالي لما راوا العرباء قد صاحوا وشعوا فزفون نهر الوحش
فاقبل زعيمهم المذكور وهو بهر رأسه وعليه عتكلة كبيرة من ريش النعام وصار
يرقص والحماة حوله يفعلون فعله وهم يصيحون ثم نزل ذلك لابرهب منكراً
واخذ ايدي رؤساء الجند وكان بعض اطراف اصابعهم علامة الاحترام ثم طلب
اليهم ان يقدموا له شيئاً من الثعب على سبيل التكرمة فقدموا له ثياباً حمراء
ولآلى كاذبة مخملية الالوان وحرساً صغيراً كاد يطير سروراً نريد رثو
واطعموه شيئاً من التمر واحسوه على طمسة فلما ارتحل احد الطمسة في جملة ما
اخدمهم ولم يمعوه . وارادوا ان يتموا سيرهم في المهر الى ما وراء الجبال فاعترضهم
في محراء صحور كبيرة شائعة لا يركب المهر بينهما فرجعوا

ثم كانت رحلة اظنون و أربود اناذي سنة ١٨٤٦ الى حبوب الحشة
فاجلجت بها غوامض كثيرة وبعد ذلك حصلت وسائل كثيرة انضج بها هذا
السر شيئاً فشيئاً فعرف نلاع الميل الابيض لكن لم تكشف مناعة معرفة مفررة
وطهر سهلاً المسير فيه الى قلب اللاد المار ذكرها الكثيرة الحصب الواقعة
الحيوانات . فانفذت عبدة المسيحيين ونهضت بالتجار همهم وصارت تلك اللاد
نقطة ارتحال لجماعات كثيرة من مشرين وتجار

وكان من مشاهير التجار الذين اول من افتحوا تلك المخاطر بروف
رولى فاني عن احوال اللاد بفوائد جلييلة وفي رحلتها تاصيل كثيرة تنى عن
احوال الامم المحاورة للنيل الابيض وقص في استقراءاته مساق كثيرة
وسنة ١٨٤٩ انشئ مركز تبشير للكانتوبليك في مدينة حرطوم وعزمت اللجنة
ان تتقدم بالتبشير الى الدرجة الخامسة من العرض اي قرب خط الاستواء

فلعلت غند وكورو وفي المحطة الاخيرة التجارية على النيل الابيض الى جهة الجنوب . ووصل واحد منهم الى حريرة في محرى النهر فيها جبل شائع كانه هرم كبير التخرور في قننه واستشرف محرى النهر فراه الى مسافة بعيدة تارة يتجدر من شلالات مستوعرة وتارة يتخلل البياض والقرى الى ان ينتهي صاعداً شعريح بين الجبال القائمة في الافق . وبالاختصار فقد افاد العلماء اولئك المشرون فوائد حمة شان الاقطار البلية وانشاؤاً مركزاً آخر عند الدرجة السادسة من العرض . فناء على تقريراتهم واحبار السباح من النجار نصف في الفصل التالي الهيئة العمومية الجغرافية لاقطار النيل وضعتيه وعادات الامم هناك

الفصل الثاني

— — — — —

امم الملوك - بحيرة النور والنور - بلاد القنطرة - النبات والحيتان
فرس الماء - صيد النيل - عادات واحلاق البدنة - الحيات

النيل الابيض باقى من فوق حرطوم من الشمال الى الجنوب وطول مجراه اكثر من ثمانمائة كيلومتر وهو عريض جداً يجنوي على عدة حرر يعلو الماء فوق كثير منها ايام الفيض . والسانات كثيرة جداً في الجزر المذكورة وعلى الصفتين والغابات منسعة جداً مخلفة الازهار والنار وتكثر فيها القروء والطيور باواعها والحيتوانات البرية . والجزر والصفاة الشمالية من النهر ملأاً للثنايل البربرية ولا سيما التلوق وهم عبيد لصوص محالون قساة جفاة عناة يركون

قوارب تسير بهم كالسهم وينقطعون الطرقات ويعززون القائل المحاورة لارصهم
وياخذون كثيراً من مواشيهم فاقبهم يراقبون العرب المجاورين ليعرفوا ان
يوردون ماشيتهم فاذا عرفوا يجمعون في نحو اربعين قارباً ويسبرون ليلاً
على الصفة الاخرى من المهر فلا يراهم العرب . فاذا ابعوا مورد الماشية يجمعون
قواربهم بين الانتظار وفي اخوار الحرر ويمكثون كامبين حتى ترد الماشية
فيقتصون عليها قواربهم وينزلون الى الشاطئ فيقتلون او يطاردون رعاتها
اذا وحدهم شرذمة قليلة ويسلبون الماشية ويرجعون قبل ان يصل الحر الى
القبيلة وقد يحدث ان العرب يذرون بهم قبل هجومهم فيمكنون لهم على ضفة
المهر وعندما ينزلون الى البر ينصبون عليهم ويأخذونهم عبيداً

ومارل التلوق ممتدة سلسة طويلة على الضفة العربية الى مسافة بعيدة
حداً حتى لا يحصى عدد سكانها لكثرتهم وتفرقهم . وليس على ضفاف النيل
الا بقى قبيلة غيرهم لما رعي واحد تجمع له . يكون مقامه في دناب ومباراة تلغ
المنة شكلها هرمي . والسيادة اراثية في عائته لكن ليس اسه الذي يملكه بل ادى
اقراره واول عمل يعمله حليته الاحتمال بدس حتى لان التريفة عدهم ان
حمة الملك المتوفي تنفي في بيت خاص الى ان ياتي الحينة ويدفنها

والملك مستقل مستقل في سلطته ويستولي على اولاد المجريين ونساءهم
ونحارة العالج بيده وحده ولا بدو منه احد الا راحاً وفي يده شيء من الخف
وهيئة التلوق قمحة جداً تؤذن بالنوحى ولا يلبسون لباساً الا النساء
فيلبس ما رر من حلود الحيوانات بسى عدهم الرشاط والتمان بالافون في
تزيين اندامهم فيرسلون شعرهم حتى يطول حداً ويجدلونه ويلبونه على رؤوسهم
كالعمامة . وبعضهم يصع شيئاً كالمتشط من النعا الى الكهنة يلعبون عليه شعرهم
ومهم من يصع دائرة من ريش ابيض حول راسه على شكل الاكليل . ويجعلون
في معاصمهم اساور من عاج يصنعونها بايديهم . ومن طبعهم العتو والاستبداد
يشغلون بالرعاة وتربية الماشية ولا يدعون لحكم اجسي لكن يسهل عليهم

ان يشتروا الحلى النحاسية بواشيتهم

والصبة اليمنى من المهر تمتد سهل مسبح الاطراف فيه بعض اكام مسردة
شامخة والسكان هناك ليف من ارومة قديمة كثيرة الزروع مها امة في اعالي
مجرى المهر نسي الدقة

وفوق الدرجة العاشرة ينعطف النهر غرباً بعد ان يصب اليه نهر كبير
يقال له صونة لا يعرف اصله وكثيراً ما ركه نحر العاح ورمل الذهب من
اهل خرطوم وفوق هذا المهر بجو تشرب فرسخاً يخرج البيل من بحيرة لم يسط
نعين حدودها يقال لما بحيرة النور نصير في ايام الحر عديراً محاطاً بمائع وفي
ايام الفيضان تمتع فتشعل مساحة كبيرة جداً . وفي هذه البحيرة يصب هر عبر
معروف تماماً بسميه المحرابيون باسماء كثيرة كهر العرال ومضلات وقيلق ومحر
العدي وهو يجري غرباً ثم شمالاً ثم جنوب غرب ويظهر بالتحقيق انه آت من
جهة الجنوب كالليل الايص . وبين هر صونة ومحر العرال يعني النيل بلاد
النور ويختلف منظره اختلافاً عظيماً بين خصب الارض وحدها وعامر وعامر
حتى يظهر ماء المهر اسود راكداً معطياً باليلوفر تنتشر منه روائح شنة وتكون
العامات بعيدة عنه فلا ترى على مد الصر الاسهل مكسوة بعشب مرتفع
والمناقع على الصفتين كثيرة القضا وبها بعض اتجار . ونهر الابر الى بحيرة
الو احوالاً كثيرة فلا نجد شطوطها وتصل الاماكن العميقة منها بالسهول المحاورة
بمائع عظيمة لا يمكن للانسان ان يصع فيها قدمه و باختلاف الفصول نجف
بعض النفاع وتكون في بعضها قيعان محصنة . ويكثر هناك البعوض كثرة عجيبة
فيشتد اذاها على السياح في فصل الشتاء وعند غيب الشمس تهم حيوشها المجرارة
على السفن فيجنى منها الناس تحت استار كالكاك (اي اللاموسيات) واذا
حلك الظلام يرى المحاحب (اي سراج الليل) كثيراً جداً . واما في الصيف
فلا يبقى للبعوض اثر ليعوض المياه المستنقعة التي يتولد منها لكن يظهر في الليل
منظر غريب محر من البيران يتلاطم بالرياح فيخلل الاعتاب الكبيرة الحافة

بحرارة الشمس ويجرقها مما فيها من الحشرات والرواحف . بصرها الاهالي قصداً
لتنظيف الارض وينت حشيش جديد ترعاه المواشي . وايضاً لكي تسر الوحوش
من هناك

ومازل النور على شواطئ البحيرة وعلى ضفتي خليج يقال له بحر الزرافة
وتصل ايضاً سهر صوة حيث كانت مازل الدنة فطردوهم . وهم اشداء
تحمعن ترهمم القبائل المخاورة لهم من السودا . وشعلمم الفلاحة وزراعة الذرة
ومسطرهم يوذن بالهبة ونقاطيعهم . عندله لم ملاح الاوروبيين تقريباً . ويلسسون
على رؤوسهم قعاً محروطي الشكل يعنى بالاصداغ والحرز وفي عنقهم قلادة
من الحمر ايضاً ويطرحون على اكثامهم جلد غر ويتعطفون بمطقة يعلنون
فيها حلقاً وفي معاصهم اساور من قطع عاج رفيقة حادة . ويرساون شعهم
ويطلونه احلاء احمر مع ايوته الروحى ويجعله سطلاً وهذا الطلاء يولف عالماً
من رماد وروث الفر والبول يخلط بمرة ليكون احمر فيصمونه على الشعر
ويتركونه حولاً كاملاً ثم يحدونه والساء يسمون ثمرراً من حلد وطوقاً من
حلد ايضاً واساور من حرز وحلاجيل من نحاس او عاج . والصابايا يلمسون
ثمرراً من ورق الشجر وينثبن التنة العليا ويعررن فيها ناب حيوان بطول
الاصع مرصعة مخزر اررق وفي راسها لؤلؤة بيضاء . وهذه العادة تزيد شيوعاً
كلما ندمت الى جهة العرب

ويخترق النيل من حد مصبه في بحيرة الوء الى نحو ثلاث درحات فوق
البحيرة ملاذاً منخفضة منعبة وهو فيها كثير العطعات صبي الحمرى ويسمونه الاهالي
هناك باسم قبر . وعلى ضفتيه من القسم الاسفل كثير من النقصاء والحلما . والرددي
وغير ذلك من السانات المرتفعة حتى يخفي بينها الجاموس ويتألف مة في عدة
اماكن عدران واخوار وهو حولها شجر السدر . وعلى مسافة من الحمرى ترتفع
الاراضي ويكثر الشجر وينقطع النصب ونحوه من الأس وتكثر النباتات المتعرشة
وتتكاثر حذاً حول جدوع الاتجار الكبيرة حتى يصعب جداً تنبع طرق

الوحش بهما . ومن انواع تلك الاشجار الدلب واللبواب والريوس والساسم
والاسوس وتجرة السمن والتمر هدي وشجرة الصمغ المر وكثير غيرها من الاشجار
المفاعة . ومن الاشجار الصغيرة النطس والكرم وغيرها

ولكثره العياض وغزارة الماء . واتساع النفاق وقلة السكان تكثر الوحش
كثرة عظيمة تنبص منها مياه المهر والمستنقعات والاحراش انواعاً وافرة .
والسك في المهر كثير ايضاً ومن حملة انواعه الرعاد المشهور والسلاحف النخمية
واكثر طعام الاهالي من صيد السمك . وفيه ايضاً درس الماء والسباح وهم
يحبونه جداً حتى انهم يطارحون له عبيراً كلما قطعوا المهر وفي الشتاء تكثر
الحيات والورل وغيرها من انواع الرماح . ومن الطيور النسر الصياد
يصبح احياناً صياعاً غربياً . والعام والحبارى وديك البر والورل الكركي ودجاج
فرعون والبط وانواع طيور الماء . ووحش القصب ايضاً انواع كثيرة

ومن الحيوانات الكبيرة الاسد وهو هناك كاسر جداً يفتك فكماً شديداً
ويهم على الاسان في منزله ويغطي اليه السياح المرتفع ويرمى زمرته محبة
حداً طالما افلقت السياح في جوف الليل وسه يوع يقص الفرو الوحشي والاهلي .
ومنها البر والهد والصع والمهر العربي وكثيراً ما تسطو على الماشية لكن يهرب
من الانسان . والفيل كبير جداً يكون قطعاناً عديدة يصبح صياحاً مرغماً
ويتاف شيئاً كثيراً من السنان الصغيرة والكبيرة ويقتلع الاشجار يخرطوهم .
ومد ستين كتر صيده فقل عدده شيئاً وتحصل من عاجه كميات وافرة
ويقتلونه بالرصاص عالياً والسودان يجرون في طريقه حراً عميقة يسترونها
ماغصان النجر ماذا مرسط فيقتلوه طعنات الرماح والعرب المجاورون للشلووق
يصطادونه بالرماح على الحبل يجرحون اليه اثنين اثنين الى ستة ستة فيطارده
ويدورون حوله في دائرة متسعة يصيغونها بالتدرج حتى يترنوا منه فيترحل
واحد منهم من ورائه وهو ملتئ رفاقه ويطعنه بالرمح في نطه فيسقطه فيطفر
وينعطف اليه فباتي الآخرون ويشعونه طعماً من الورا فيسقط صريعاً .

وخيل هؤلاء العرب تساق الرياح ولا يبارق العرس فارسة ولو بقي وحده
وتحتمل الخطر. وقد يكرون على الليل عدة مرار وهم يطعنونه حتى ينفذ دمه
وأكثر موزم يصيد الفيل في السهول وأوقات الحر والجفاف ولما يحتمون بين
الأدغال والمناقع

والسودان بصطادون أيضاً الزرافة وتكون أسراراً كثيرة في المروج
وبصطادون الكركدن والجاموس على شتاتها وصراها

ووفد مرس الماء في ذلك النهر ما يفوت حد التصديق فمن بحيرة الو
الى بلاد ناري لاتزال قطعان تُرى كل قطعان مولف من نحو حسيب مرساً
وهو غير كاسر لكن شديد الحذر لا يزال برقع راسه فوق الماء وينظر يمينا
وتمالاً ثم يعوص. وتري كيات منه في المهار تلعب وتوثاب على الشاطئ نعماً بينة
فإذا رأت سبية توانست الى الماء وعاصت وهي ترمح حقاً. وإذا كان الليل
تسمع لها أيضاً رجحة شديدة تدوي لها الفيعان والأدغال ثم تخضع وتخرج الى
النهر لترعى فإذا دخلت أرضاً مرروعة درة اتلغها انلافاً تاماً أكلاً ودوساً بارجلها
والسودان برعووث في صيدها لاخذ أسانها وحلودها ولحمها أيضاً لكن في
صيدها خطراً حسيماً لان الرصاص لا يؤثر في حلودها الصغينة. وقد وصف
كوفان غيثه صيدها مرة قال كما في عندوكورو في ١٨ شاط سنة ١٨٥٨
فاني تخار العاص ومن حملهم رجل يقال له علي طوي كان اصحابه لم يذوقوا
طعاماً الا الحموب منذ مدة طويلة فاراد ان يطعمهم لئلا يعرم على صيد مرس
الماء. فاني صحوة ثاني يوم واخبرنا انه رى مرساً بالرصاص فخرق دماغه وخرج
آخر وفي اصحابه براقوه ربما ياخذ لولزم الصيد ليعاد دخيرتهم. فصبنا معه
لنتفرج على هذه العلية فوجدنا جمهوراً غفيراً من السودان اقلوا على صوت
البارود وازدحموا لتوزيع اللحم عليهم. مركب علي زورق رجل ناري ماهر في
صاعته وتندم الى العرس المجرع واطلق عليه الرصاص فوثب على الشاطئ
فاعترضه السودان سهامهم فشكوه في راسه وطعنه آخر بمخراق في عينه واثنته

ففيها فرجع الى الهر محاولاً اقتلاع الحراق وعاص تحت الماء ولا يستطيع ان يمكث تحت الماء الا ربما بجناح الى النفس وكان عليّ ينفع انره فلما رفع رأسه رماه برصاصة خرفت دماغه فمرحمر زخمرة مخفية ووثب على الرورق من شدة حنوه غير ان الملاح الماري تراجع عنه بجحة وكان العرس ايضاً قد وهى عمره وكان الدم يجري من رأسه وهو يحاول الفرار وعلي بضارده وينقطع دونه السبل حتى رماه برصاصة اخرى في قداله (اي خلف اديه) فقلبا هذه تكون القاضية فطهر نعمر شديد حتى ارتفع كل يديه فوق الماء ثم سقط وجعل بجوض الماء ويدور على نفسه بعف شديد وصارت قوته ثلاثين شيئاً فشيئاً الى ان طالبت حركته فتقدم علي واطلق عليه الرصاص ايضاً فطعرتاية فوق الماء وسقط صريعاً وبعد دقائق طهرت قوائمه فصح السودان صحبح الفرح والاستسار وقد قصي الامر وراية السودان بصطادوه رأيا بالخاريق يرطونها بحمل متين في حدة شجرة فادا اعذوا الحراق في الحيواف يسرع الى الماء ويعوص وهو ير مجر ويعلمون به ذلك وهو في الهر ايضاً لكن كثيراً ما يصدم الصن فينلها ويدّر اصحابها ساجين حوقاً من سطوته

وكل ذلك القسم الذي يجري فيه الهر الى الدرجة السادسة ينطس فيه امان يقال لاحداهما الطويشة وهي على الصفة البهي وللأخرى النطشة وهي على اليسرى . فيموت هناك في ايام الجفاف ليرعوا مواسمهم في التيعان ونشئ بهم مار الفتن وهم والورة والالبانة الى جهة الجنوب من سلاللة امة الدقة التي تنشر في تلك الارض الى حل يباقي في الدرجة ١٢

واما الدقة هذه على ما احبر المخرون الذين عاتروهم مدة طويلة هم احمل الام التي على صفاف النيل الا يصب سينهم جيدة خفاف الحركة طوال القامات هيئتهم لاتدل على التوحش كماثر تلك الام السوداية وكانوا يدعاهم لكن سامت طنائهم بعد ما اساء اليهم الذين يغترون بالعيد . ومن عادائهم انهم يوسمون مجرح عميق بين العينين ويجرحون منه دوائر بالوخر على الجبهة وكلامهم

مؤلف من مقطع واحد على الغالب وليس عدم حروف الصغير وذلك لانهم
 يتعلمون الشايات الاربع الامامية ويحلقون شعورهم الا فتواته يعلقون بها
 اللآلئ ويجعلون في ايديهم وارجلهم اساور وخلائيل من العاج وحلق النحاس
 والحديد ويكرهون كل لباس . والساء يتزرن محلدس واحد من الامام وواحد
 من الوراء والحلبي اطول ويلقن فيوشه احراس صغيرة وحلقاً من حديد
 او نحاس حتى يسبح للمرأة خشبش من مسافة بعيدة اذا مشت وقد يسرن
 اكثامهن وصدورهن من حر الشمس . والرجال والساء يعلقون في اذانهم
 حلقات نفيلة من نحاس وسلسلة من حلقات صغرى ويربط بها خيطاً يتد
 الى اعلى الجبين حتى لا تستطيل الاذن من ثقلها بطول الرمان

وينعاطى الدفة رعي المواشي ومن طعمهم الكمل لا يطلبون الثروة
 ويكتفون بالكفاف لكن يعاون الاتعاب في ساء منارلم والساء يقن سائر
 الاعمال يلحق المحنول ويحزنن الارض بمجديدة كالملال ويلقن اصول
 السانات غير اللامعة ويذرن ويحصدن ورجلهن على الماشية وريارة
 المجارات لا ياتون البيت الا وقت الاكل والجماعة تكثر عدم لنفاعدم عن
 الادخار لكن الله يدرك حاجتهم بعائته معد انتهاء الحصاد يكون وقت
 نصح الثمار الكثيرة عدمهم فلا يحظر سالم ان يررعوا ثانية في نفس السنة
 وينهافنون على الثمر . فاذا جاء وقت الحفاف اي زمن القبط يتسارعون الى
 حوار الهر بمواشيهم ويسرحونها في المروج وبتنانون باللس والملك لكن
 لقلة اللبن ولسو فتيته اذا اطل استعمالة محرداً طالما يجناحون ان يدلو ما عر
 وهان ليتاعوا حوتاً من حيرانهم الذين هم انصر منهم في عواقب المعيشة .
 وفي تلك الاناء تكون ساء الفراء في العمامات يجمع فصلات الطعام لسد
 الرمق في امان الجوع

ولو فطر اولئك اللهاء لما ناقوا مرارة الشدة لان الارض خصبة جداً
 والتربة في غابة الجودة والري واف وامر وفي بلادهم شاع كثيرة مهنلة

على جودتها بمجود بها السمسم والذرة والتنع . ويسهل ان يحصل مومنان في السنة
لعزارة الرمي وقد حصل المسترون هناك ثلاثة مواسم في السنة من نوع من
الحنطة اتوا بها من خرطوم تخرج عنها في شهرين والذرة تحصل عنها في ثلاثة
اشهر

ومعظم اهتمام الدقة في الفرهي اعز عندهم من سائرهم واولادهم لانها عمدة
حياتهم على زعمهم وما سواها مفصلة وقوم صعيبة غير حسنة الشكل بخلاف
الفر التي في حوار يابرا حنوي حظ الاستواء . ولها قليل حذا وليس لم
منفعة من لحومها لانهم يجرمونها جداً فلا يمكن ان يذبحوا واحدة لاكل لحمها .
واذا ماتت فترة يدسونها كالولد والاح والاب ويربط صاحبها رباطها في عنقه
ويطوف بين الناس نادياً سوء حظي . واتقوا ان احد المشركين دبح عجلاً فلقوه
بالذئب

واما الثيران فيذبحونها في المواسم الكبيرة والاعراس والمآتم ولا يحصل
السباح من لحمها شيء الا بدفع مبلغ حبيب من نحاس او خرر واشدة احترامهم
للفر لا ترى فيهم رجلاً الا ملقاً باسم نوري ولا امرأة الا ملقاة باسم فترة واكثر
حديثهم بدور على ذكر الفر وبها تخص اعابهم ولا حلها تشا حروبهم واحسن
مكان عندهم مراص الفر فيجمعون هناك وينظرون اليها بلدة ويجمعون
ارواحها بايديهم ويجمعونها بالنمس ويستخدمونها اما حرقاً في المراض لطرد
البعوض او يعالون منها الخلاء المار ذكره لشعرهم او يخلطونها بالرماد ويحسون
بها مرشهم . واما احوال الفر فهي ايضاً في مكانة عظيمة من احترامهم يعالون
بها الدور والراحل والصحن ويعتسلون بها ايضاً ولا يعلون عليها الماء
الزالل العذب ويصل بهم الامر الى ان يعتبروا السعيد منهم من يلازم فترة
فاذا بالت يجعل مدة تحتها فيعتسل به ويترك به وحية وهو في اشد الفرح .
ورائحة روث الفر وبولها اشد الروائح عندهم

واما مساكن الدقة على نوعين فيها ما ينونها بسرعة على ضفة النهر وتكون

أكوأخامن النصب مطيبة روث البقر يتقون بها النسيم المارد في الليل في فصل
 القبط وتكون موقفة . ومهما المساكن الاصلية التي يقيمون بها بنوهم في الاحراس
 وتكون أكوأخامن مستديرة قطرها نحو أربعة أمثاله تقوم على اوتاد وتشد بالاعصان
 وفي خلالها القصب ويستعملونها بالنس الياس على شكل مخروط وبطيون
 حدرانها بالتراب وروث البقر ويرصون الارض حتى تشد صلابتها ويجعلون
 الابواب صينة يهرون بها رخصاً كالحجرات في اوجرتها ويقفلونها بالآ منفل من
 القش من الداخل . ويجعلون على الجدران تماثيل رؤوس النمر علامة للوداد
 والحيات علامة للكره والعصا ويسامون على جلد او فراس من القش ويكون
 الاناث كرايب محررة وواعية خزفية وقصات علابن يكثرون من استعمالها
 وسلال معلقة في السقف نوصع فيها ذخيرة الحطة . وليس عديم ارجحة مبدتون
 الحب يهواون من خشب صلب . فاذا جاء الليل يجتمعون ويتسامرون ملياً
 ويستندون سار الروث وشمعون في الرماد لانتقاء البرد الفارس
 والسودان رغبة شديدة في الرقص . ورقص الدقة يكون ليلاً في صوت
 القمر يدورون به حلقة على صوت الطبل ينفرون ويصيحون كالوحوش
 ويعمون اعاني لالتحس فيها موضوعها ذكر الساء والبفر . وفي هذه الاحتماعات
 يختار الشاب عروسه فاذا وقع اختياره على واحدة نعتد الحطة ماداء المهر
 لعائلتها وتكون قيمته بالنسبة الى رتبته فان الحاكم عند القنطرة يدفع لاني خطيبته
 اذا كان رئيساً ابصاً عشر نترات وعشرة ثيران ولامها عشر نترات . ونص
 قلائد من الحرار او الححاس لادنى اقربائها . ولا تنزوح المنة قبل الخامسة
 عشرة ولا الشاب قبل العشرين مع ان الادراك هناك يكون قبل ذلك العمر
 مدة غير قصيرة لحرارة الاقليم . فاذا حان الزفاف ياتي اصحاب العريس
 مصحف ملوكة لسا يقدموها لاني العروس فاذا كان من الرؤساء يدبحون وراً
 ويولون وابنة حافلة ويقدم العريس قسماً من المهر المتفق عليه فتصير الفتاة
 شرعاً فباخذها الى منزلها من غير احتفال ولا يودعي تمام المهر الا اذا ولدت

له ولداً فان كانت عاقراً فلا . ويطلقها ويخذ غيرها
والعروس قل ان تلد نتمتع براحه تامه وافراح دائمة يكون الكل في خدمتها
كانها ملكة صاحبة امر وهي فتى ولدت نطل كل ذلك وتصير كالامة فتسعى
في جلب الماء والحطب من الادغال تحت الامطار وتقوم تدبير المنزل والصلاحه
والحصاد ولا يبارقها رضيعها في كل اعمالها وترضعه احياناً مدة سنتين اذا لم نعل
وتصنع له ارجوحة من الخلود وتلها بما كفا وتذهب لاعمالها فاذا حصدت ان
حرت تعلق الارجوحة في شجرة حتى اذا انتهت حملته وحملت الحطب وعادت
الى بيتها فتذهب بصارتها في وقت قصير تسب هذه المشاق وحينئذ يشتري
زوجها فتاة اخرى ولا يجوز ان يتخذ ضرة ولذلك لا تكثر النساء الاعد الاعتياء
فكلما كانت نساء الرجل كثيرة كانت دليلاً على وفرة نروه

واما الدين عند الله فهو على غاية من المحسنة لكنهم يعززون واجب
الوحد ويسمونه دنديد ويعززون انه هو خالق النمس والقمر والشمس عزراهم
لا يعتقدون خلود النمس بل يزعمون ان الاسان يسي بالموث . ومع هذا
الصلال يوجد اعتقاد خفيف عند البعض فيقال ان التطشع والباري يدكرون
ان الله خلق الناس الصالحين وجعلهم عده في السماء ولما اساء بعضهم تصرفه
ارحم الى الارض بالخال . واهل الصلاح من الشر يتدرون ان يصعدوا الى
السماء بهذه الخيال لكن تطول الرماي بشتات الخيال وينقطع وتد اعلمت
ابواب السماء دون الجميع

وعندهم فكر آخر بشأن سعادة الاسان الاولى وستوطع بمنتهى من كرمهم
الحيات لانهم يعتقدونها ممدأ الشر ولها يتدمون التحايا لانهم ينولون ان الله
لعلم صلاحه لا يحتاج الى ترصية . ومن العريب انهم يعرفون الحية المسماة بيون
في المينولوجيا اليونانية ويدعون لها توراً . قيل ولا بعد ان هذا الاسم اتصل
منهم الى مصر ومنها الى بلاد اليونان . وكل الحيات عندهم سامة الا الاممي
المحصراء التي تعلق بين النصب على ضفة النهر والسماء يتون يبلغ طولها اكثر

من ستة امتار . وكل انواع الحيات توجد في الاحراش والساتين والمنازل ايضاً
نسب اليها لتقتل الفروتنش لمحومها . فلا يخرج الانسان من منزله الا
متحذراً الكثرة وجودها في كل وقت . واسع الحبة هناك بنخ هو لا شديداً
وقد ذكر بعض السماح حية انت وهو مع جماعة جلوس على المائدة ليلاً
وكانت من اخبت انواع الحيات تقتل من ساعتها . واول من رآها منهم صاح
مترعجاً وبهت الجميع وحمل السائح يطر هنا وهناك ليراها ثم رآها ساعية نحو
ونسلفت رجله وقصدت الدخول في كه فهص من ساعتها ودفعها فوشب
الجلوس كلهم وانفلت المائدة والصحون والقناديل ثم تعاونوا عليها بالعصي
حتى قتلوها

وقد نصح ما ذكر ان امة الدقة سافطة جداً بالنسة الى العقائد الدينية
والذلك كثر عندهم المحرمات وحرملات المتعوزين وسينصح ذلك في
الكلام عن الاري في الفصل التالي

الفصل الثالث

امة الاري — عاداتهم واخلاقيهم — رقصهم — المستمضون —
ذكر جماعة من المسترضين

من صعد النيل الابيض وبلغ الدرجة السادسة من العرض التالي يرى
تعبيراً عظيماً في مناظر الطبيعة واشكالاً جديدة من هيئة البلاد . فهناك ليس
منافع ولا آجام من القصب بل تبدو في السهول القسيمة قارات كثيرة . والنهر

في تلك السهول التي يشنها بكون نارة عريصاً تنديد الجري وتارة ينلوي
تعرجات كثيرة ويجدق مجرر عديدة تقطنها امة يقال لها شيرة . وتلك الجزر
كثيرة السانات والادعال . وهناك مزارع الذرة ومروج الكلال تسرح فيها
الوف من المواشي . والخصرة نعشى الاكام حتى لا يرى منها صحرا ولا تراب قريباً
وتسد الافق حال مستدين من جهة الجنوب وقرى امة الداري متناعة في
مسافة بعيدة اما على حدود العادات او في الاكام والخصب هناك يريد المماظر
رونقاً والسكى لهجة ولادة

وتلك الام اسى عنولاً من سائر الام السودانية ولعنهم نوذن ترفع
سلائلهم وتمتاز امة الباري نعضها في اعمالها وخشونة طاعها فانهم طاعون
مشاغبون يعيشون بين القبائل منتقلين من قبيلة الى اخرى ولا يدايمهم التجار
الا بالسلاح خشية من سطوانهم . ومع كثرة المحصب والمحبرات الطبيعية في تلك
البلاد كثيراً ما تلب اهلهما المحاعات وما ذلك الا لثلة الرعاة والتقاعد عن
اعمال الحياة وتكرار السرقات والهب وعمت درس الماء في الحقول . والداعي
الاكبر الاسراف في اللحم يأكلون علال الذرة والسهم في ثلثة اشهر فتعقب
ذلك العاقبة الشديدة وتلع اشدها في بسان وايار فيتردون في البلاد هراً
من شدة الجوع وينصدون سفن التجار وسفرائهم ليلتفضوا ما ينيسر لهم او
يبادي مباديهم الطعام يا جياح فينادرون كالدثاب ولتنهمون كالحيتان
وكيبرون منهم يموتون جوعاً وقد يصل الياس بالامهات الى ان يطرح
اولادهم في النهر اذ ليس لهم ما يقتاتون به وتكثر السرقات والقتل

والذي عده بعض قرات بعصدها ويعندي بدمها وادامات حيوان
تهافتوا عليه كالنسور على الجيف . وعند ذلك تنقل ايام المواسم فيقومون
باعياد حافلة وتكثر امراهم ويولون الولائم ويعقدون كل ليلة محالس لهم
بين رقص وغناء واعب وشرب وهلم جرأ

وعادة الرقص هناك مما يدل على الخفة والطيش فلا يعتبر اولئك التصرف

بين اجبال الشر الاكالاولاد في حاسب الرجال . قال احد المرسلين عبد
ذكر هذه العادة انهم يضربون الطول بعد الظهر لكي يعلموا ان الاجتماع في
المساء . فاذا كان المساء يسمع ضرب الطبل مستمراً على مناسبة حركات الرقص
حتى لاهل القرى المجاورة لبانوا ويصيحوا اليهم . وفي الساعة الثالثة اي بعد ارتفاع
القر ارتفاعاً كافياً يردحون كالجرد من كل ناحية في المكان الذي فيه
يرقصون

ثم يجتمعون تحت الاتجار الكبيرة وتكون لهم حلقة عطية وصباح الفرح
والتهنئة والعاء ونحو ذلك ما يستوقف العام الجافل ومن حملة كلامهم الذي
يتكرر « ناو . فارانا . لاري كانا . نانا باي » اي أمت هذا . مساء الخير .
هذا يوم الرقص . هل معك تغ . وبين ذلك احداثهم يتواتون ويتلاعون
« مثل السعادي » وعند انتهاء الرقص يؤلون حلقتين احدهما داخلية من
المساء والسات بحمان سوق الذرة بصنة رماح . والاخرى خارجية محبطة
بالاولى من الرجال والصبيان ومعهم الخوذ والقسي والرماح . والاعيان معهم
يحملون تروساً من جلد الليل . وكل منهم يغلي ثائمن ما عده من الخف .
والحيلة العامة للراقصين مولدة من اجراس صغيرة تعلق من القدم الى ما فوق
الركبة لا يرال صلبها بوفر الأذان . والساء يغندس مآزر جديدة والبيات
يرين اعناقهن واكتفاهن بالخرر ويلعن من الورا ضميرة من جلد على شكل
ذنب الفرة والرئيس بقشارة المهانة دهن حصد يد من تجرة يصونها
قورولغي مزوحاً بهرة ويلعن حمائل صمراء وعلى راسه منار احمر وفي يده
تريس من جلد الليل وعلى منكبيه جلد فر وفي ساقيه وذراعيه حلقات عديدة
من النحاس محلوقة ثم ياخذون في الرقص ويغفل ذلك حركات وحنبة وصباح
كموا الدناب

ثم تضرب الطول ضرباً خاصاً فيتوقفون عن الرقص والغناء وفي
الحال تبرز الاطفال للمصارعة والمقاتلة وهم كالاسود الصارية ويجزون رماحهم

ويتلاحمون ثم تولول النساء ولولة شديدة فتلقى الرماح ويستعرب الكل في الضحك حتى تدوي الارعاء . ثم يعود ضرب الطبول ويتقدم الزعيم ورعته بيده ويركض ويتبعه الراقصون وتدور حلقة النساء الى جهة مخالفة . ثم ياتون بحزم من الفس مشتعلة ويطرحونها في وسط حلقة الرجال وياخذون في الرقص الحربي باحتدام حتى كأنهم الالبسة في جهنم يحرقونهم ومناظرهم وصياهم وطيبين الاجراس ودوي الطبول يزيد الحال فضاظة ومهابة

وهذه الاعمال والحركات الخشنة التي تظهر في محافل الرقص تظهر ايضا في سائر المحافل من اعراس ومآتم واعياد ونحو ذلك . وفي الاعراس يولون ولائم فاخرة حافلة با انواع الاطعمة وكثرة الاثربة . وفي المآتم يخرجون مع الجنائز يعويل بقلق الاقطار وحركات تهلك الابدان وذلك لكي يطردوا الشياطين على زعمهم عن الجنائز ومتى دفن الميت يعلنون ايضا يعويل شديد جدا ومن عادة الدقة ان الواحد يسمح له باقتناء ساء على ستة مقدراته المالية لانهم يشترون ساءهم كاصناف الصاعقة كما انشربا آتاما . وتكون كل واحدة في كوخ على حدة لكن تكثر بيوت الخصومات والنس المسببة عن تحاسد الصرائر وتصل العيرة ببعضهن الى ارتكاب الفطائع . فقد ذكر كوفان ان امرأة اشتدت بها العيرة واحرق فوادها الحسد لكون صديقتها اربع منها متزلة عند الرجل ففي ذات يوم قصصت على بنت هذه الصرة وقطعت عينيها وتقرت بطنها فاستخرجت قلبها فعلم زوجها بذلك فقتلها صبورا

والنقر من اعظم اسباب توحشهم وضرائهم فهم الاكبر ان يملأوا بطونهم ولذلك لا يهتمون بدين ولا ادب . ويعتقدون وعود قوة خالفة اسمها موف ويتقدمون قرايين من لبن وغير اطعمة للاعاعي السود زاعمين انهم من سلالتها . لكن لا يعترفون بجلود النفس ولا ياتفون من الانفجار

والمشعوذين والدجالين والرقاة وامثالهم مقام عظيم عند تلك الامة الارية وادعى بعض سحرة ان السلاح لا يؤثر في جسمه . فاجتمع اليه الناس من كل

فج وتواردت اليه الهدايا كالسيل المتدفق فانفق يوماً انه خطب خطبة طعن فيها بتجار المصريين فتصدوه حتى قتلوه عدراً . فاحناط قومه بشاؤهم وصاروا منتظرين رجوعه الى الحياة ولم يخفوا موته حتى يلي

ومن اغرب ما برعمون ان فيهم اشخاصاً يستطرون السحاب اي يدعون انهم يزلون المطر متى شاؤوا . فيخبرون ذلك الشخص اشد الاحترام ويحلقون مناءه جداً وياتونه بالهدايا من كل نوع وخصوصاً اذا طالبت مدة القحط اي احساس المطر . غير انه يكون معرضاً للويل اذا خاب علمه فانهم ينجسونه عليه ويستقون بطة زعماً منهم ان الرياح والعيوم كاسمة فيه لم يرد اولم يندر ان يجرحها الا ان يسكنهم بمواعيد ندمهم او يلقي اثمهم على كثرة شرورهم

واخص مركز لتجارة العاج عند امه الباري قرية غدوكورو الواقعة على الضفة اليمنى من النهر وفيها كان مقام المشركين الكاثوليك سنة ١٨٥٠ و ١٨٦٠ وكان اول اسير وشهيد مهم المحلوسكو الايطالي . فانه كان منبرداً بين اوائك الدابرة وكان احسنهم طماعاً لابلخو من تكرار الاساءة اليه فلم يضعف عزمه بل جعل يثشارة الانجيل بعيرة حارة . ثم سافر الى جهة العرب وصادف على نهر بصب في نهر صونة قبيلة من السودان يقال لها رري افاد عنها افادات جديدة وكان يطوف هناك وحده بين المخاطر

وانفق يوماً انه اراد الرجوع الى بلاد الباري فاكمن له ملك ليريا خمسمائة رجل ليقتلوه لانه كان عدو ملك الباري . وكان الكمين على شاطئ بحيرة يصطر المشرك ان يمر بها ليستقي ويبيت تلك الليلة . فلاحل سعدة مر واستقى ولم يت حماً بالمسير ليلاً للنفيف ثقلة حرّ الهار واتي الرجال من مكبهم الى جهة المكان الذي طنوا انه مات فيه فلما وصلوا نفرت الطيور من الاشجار لكثرة طينهم فحافوا وقد توهوا ان روح المبشر ثارت في وجههم بمحوش جراحة فاخطلوا مضطربين وتطاعوا بالرماح وهم لا يعرفون انهم يقتلون انفسهم فقتل منهم ستة . فلما رجعوا الى الملك لفقوا انه حديثاً هائلاً بشان مقدرة المشرك

حتى آلى ان لا يصد من اخرى ملاحنة وقد نوهه روحاً والمقادير
وفي هذا المبتدع ساعياً على قدم النحاح بمجمل صبره وحسن تدبيره حتى
صار مطاعاً نافذ الكلمة في معظم احكام القوم . وقل القتل بين امة الباري
وبدرت الفتنة . فصارت امة البري تعتبره نظيره . وكان كل صاحب مجد على
مايو طعام نهاره وهو لا يدري من يأتي به . وجرت عليه امور مسيئة من قبل تحار
خرطوم لم تخط من قدره بين الرارة فاستمر عدمه الى ان عجز عن العمل لكثرة
المشتقات مات امير الانسانية شهيد البشارة . فاستت عليه امة الناري اسفاً
شديداً لا مزيد عليه ولسوا الحداد جميعهم كآراً وصغاراً رجلاً ونساء . وكان
نحو اربعة آلاف منهم يزورون قبره ويوحون عليه ويدبحون التبران مدة
تامة ايام

وبعد ذلك انت لجنة من المشركين لكن لم يكن لهم عد الناري شان رفيع
الاعايات خاصة اعطىها اتساع بطونهم من خيراتهم فكانت مسالمتهم اياهم رياء
وكثيراً ما كانوا يسرقون من امتعتهم وغلام . وكانت اتصالية الناري بفحار
خرطوم مانعاً اكبر في سبيل فحاح اللجنة فكانت جماعات مهم ومن حملتهم كثير
من الاوروبيين الاردباء ياتون ويسدون امور المشركين وبجرحون الناري
على اذنيهم . وما اوغر الصدور ايضاً ما كان بحري من الاخطار والقتل بسب
نحار العبيد المدعين نحارة العاج فصار الاهالي يكرهون الاجاب كرهاً شديداً
وبذلك تناقصت الفتنة . ومن ثم حط مسعى المشركين تكراراً وقتل مهم عدد
غير في جهات مختلفة



الفصل الرابع

نهر صوة وبحر العرال — قبيلة بيام بيام — ذكر غير امور

النهرا المذكوران بصان في الميل الابيض وكثيراً ما قصدوا حبيها تجار العبيد وصيادو الفيلة. وكان السائح اربود قد دخل نهر صوة من مصبه . واستفراه رجل مالغي بعد ذلك اسمه اندريا ديبو سنة ١٨٥٤ وكان معه رفيق اسمه فيليب تراوفا . فوحداهما عظيماً الشان بحري تعارج كثيرة في سهول مسيجة كثيرة السات والفيلة وشر الوحش والرافات ويسمى باسماء مختلفة باختلاف الاقطار

وعلى ضفتيه قبائل من سلالة الدفة والشلوق وقصد ديبو ورفيقه ان يدخلوا بلاد النري لياحدا الحاج فصعدا في فرع من النهر الى مسافة بعيدة ثم توقفا بسبب هبوط الماء اللائح عن القحط فاصطرا ان يقيما عدة اسابيع بين جماعة من السودان ختماء الطماع لا يندران ان يتقدما ولا يتأخرا وكثيراً ما اضطرا الى السلاح لدفع شرورهم غير انها حاولا احراء العلاقات بينهما وبين بعض رؤساء البلاد مع انهم مطعون على الطمع والحسنة . وقد ذكر تراوفا في جريدته اخباراً بشأن تلك الاقامة فقال

سافرت في ٥ اذار مع خمسة عشر من العبيد للقاء سلطان الشلوق وكان مقبلاً على مسافة نحو يومين في الداخلية فوصلت في اليوم الثالث . وعلم الملك

فقدومي فارسل اليّ كية وافرة من اللين وغيره من الاطعمة ووعد انه ثاني يوم
 يرورني فلما كان العديت جمهوراً من السودان في حركة وشعل شاعل
 من تمديد الطريق فسالهم ما الداعي لذلك فقالوا هذه الطريق التي يمر بها
 السلطان . وكانوا يعرّضون الطريق بالرمال وروث النمر ويسترون ذلك
 بالجلود . وكان الناس قاعدن على جابي الطريق . لانه لا يسمع لاحد ان
 ينقب بحصرة الملك . ثم اقبل بجائية قليلة الى ان وصل وجلس على اسكاته على
 مسافة ثمانى خطوات من خيمتي وامر ان آتي واحلس لديه فحمل عبيدي طمسة
 ووضعوها امامه فحلمت

وكان شاباً حسن الهيئة والشكل عاري البدن يلبس فلاندا من خرز
 تستطيل بالتدرج الى ساقيه الواحدة اطول من الاخرى . وعلى راسه قع مرتين
 بالحرز ومستدود الى عنقه بقعد من صغار الصدف وفي راسه عنكولة من ريش
 نعام اسود . وكان جالساً حلسة حاصة وحوله اربعة من خواصه كل منهم قاض
 على قائمة من قوائم الاسكلة وقدامه رجلا يصنع احدى رجليه على محذ احداهما
 والاخرى على محذ الآخر . واثان احراص واحد عن يساره وواحد عن يمينه
 وظيفتهما ان يتلقيا يديهما تصاق السلطان كل بدوره فيهرع به وجهة كانه دهن
 واذا فات يد احداهما تصاق بالملك في وجهه

وفي اليوم التالي اتى اربارني ابناً وقدم لي باب فيل وزنها خمسة ارطال
 فقدمت له كية من المحرز وقبعا مربيا بالحرز وحرسين صغيرين كالبجل لكهما
 ملفوفان بحبث لا يراها فكان يتعجب منها ويبحار غير عارف من اين ياتي صوتها
 الى ان اتمهته . وقدمت له ايضا امرأة صغيرة فلما راي فيها صورته التنبه ظن
 انه يرى شخصاً آخر وراءها واذ لم ير احداً الا اذا نظر فيها تعجب وسالني
 كشف هذا السر فافهمته ان كل من نظر فيها لا يرى امامه غير صورة يسو وما
 يواجهها ما يفر به . وقدمت ايضا قبضا عظمت في صدره خرا وجلاجل وبعد
 ذلك سالتني ان يسمح لي بشيء من الاخشاب لاني لي كوخا فامنع عن اجابتي

واما نهر الغزال هو يأتي من جهة الجنوب الغربي ويدخله النجار جواهر
جواهر وقد اقاموا على صفتيه مارل عديدة . واستفراء البلاد التي يجري
فيها عرف السياح احوال امة نيام نيام التي شاعت فيها اقوال غريبة مخجلة
وقد اثريا اليها في القسم الاول من هذا الكتاب وكشف السر المتعلق بحر
ادناهم السائح العالم علوم لجان الرسوي

وهذا السائح آخر من استقرى البيل الاعلى كنه الامبراطور نابليون
التالت رسالته الى السودان فوصل الى سواكن ومنها مضى الى خرطوم
فوجد هناك صعوبات شديدة تعترض دون مسيره في الداخلية لان نجار
العبيد كانوا قد اكثروا من العيت بين سرقه وهب وقتل وتخريب وهلم جرا
حتى اشتد كره السودان لكل احبني فكانت التجارة لا تيسر الا بتجريد عسكر
م . ولذلك كان لجان مرثاءا من حفة النجار ولم يحسر ان يصعب احدا منهم
تجمع على بنته عشرين رجلا وركب الهر محموتا وسار سير المعنف . فلم
يحدثه طالع سعد في هذه الرحلة فانه بلغ غمدوكورو فوجد الفتي فيها على ساق
وقدم بسو معاملة نجار العبيد فامتنع اصحابه ان يتقدموا في طريقهم فركب البيل
الابيض واحناز منه الى بحر العزال فاستفراء الى حد بابايع في زورق للبراق
غير انه لم يستطع شفع مناصده لان تجارة العبيد في تلك الاقطار كانت
تدعو الى افطع الاعمال والمحتس السائح حتى لم تكن بلدة تغلو من بران من
مستمر والدماء تجري من انها اهارا والاضطراب لا يفر له قرار ولم يكن احد
ضعيف الجاهل يامن على مسو . فرجع لجان حريتا اسما هذه الاصطهادات
وقرر عنها تفريرات مستوفية . وقد ذكرنا هذا المعنى في القسم الاول من هذا
الكتاب . والله الموفق الى سبيل الرشاد

ملحق

في محافل الاقطار الشمالية من الكرة الارصة

الفصل الاول

النقطة الشمالية

ليست الصعوبات انني تعرض في طرق النجولين في اقطار افرقية الوسطى
المحرقة اعظم من التي تطراً على الماحئين في بلاد تخلفت من الجمد جلياً اندياً
وكما تحركت خواطر العلماء الى استقراء محافل افرقية نهض بهم حب الاطلاع
الى المخاطرة في كتب تلك الجاهل الخايدية ومعظم رغبتهم في هذا البحث حب
الوقوف على احوال المحوادث الطبيعية التي يقوم بها نظام كرة الارض
والاقتضار القطبية بالنظر الى هيئتها الجغرافية عبارة عن قبة عظيمة من
الجليد تسيطر على سطح الارض في كل من القطبتين وليست لها تخوم محدودة الا
بالتفرع بواسطة الدائرة القطبية

ومساحة الاقطار الشمالية تقرب من ١٧٠٠٠٠٠٠ مربع ليس سطحها
الأمم والبالسة ستة مخلفة وغير محدودة في شمال مراكم تخلف البحار
جرائر لا تحصى متورة بلا نظام على ابعاد متباينة من البر متصلة بمصايق ليس
بيها نسبة في الطول والنصر والعرض والعمق حتى لا يمكن التمييز بينها بالاستقراء

وكل سنة في الشتاء تجمد تلك المصايق البحرية فتصل الجزر بعضها ببعض
محسور من الجليد . فتكون خطاً تخمياً للنقطة الشمالية كدائرة يبلغ معدل قطرها
نحو ٢٠٠٠ كيلومتر

وهذا الحاجر العظيم هو الذي حاول الناس خرقه بوسائل عديدة من-
اربعمائة سنة والى داخلتيه توجهت خواطرم رغبة شديدة كما توجهت للتوغل
في واسط افريقية الكبيرة المخاطر

ولما باشر الناس الاسفار الطويلة وكان فاسكوداعاما اول من فتح
طريق الهند القديمة فانقلت هيئة العالم التجارية حدثت حركة عظمى في اوربا
وتبادرت اممها لسلوك اقصر الطرق الى تلك البلاد المشهورة فاما وبها التي هي
محور عظيم لدولاب التجارة وهذا الجهد هو الذي لم كولموس لاكتشاف
اميركا ومن ثم حاول الناس اكتشاف معابر الى الجنوب والشمال فاما المخاز
الى جهة الجنوب فقد اكتشفت ماجلان السائح المشهور (راحع الفصل الاول من
ملخص السباحات الكبرى) واما البحار الى الشمال فبقي على تده العناء مجهولاً
الى القرن السابع عشر وكان الاهتمام بكشفه منذ القرن الخامس عشر . وكان
اساء القرون الماضية لاهتمون لميوع الدرجة التسعين من العرض الشمالي ولم
يحطروا ساهم ما ينبغ عن اكتشاف تلك الاقطار من المانع العلمية واما انباء هذا
القرن فقد عرفوا انه من الضرورة لفائدة عظمى للشر ان يحاطروا هذه المخاطرة
الجليلة وكانت كل اممة من امم اوربا تفر من يركب منها اخطار البحار الشمالية
وليست الفائدة من بلوغ النقطة الشمالية تتعلق فقط بالعلم النظري بل لها
شان عظيم بالنسبة الى العلم العملي لان عليها يتوقف مستقبل العالم مادياً . وفي
القطبة الشمالية مركز الانواء الارضية ومنها مصدرها ومصدر التيارات الجوية
والبحرية التي تنلف في مدة قصيرة نتيجة اعمال طويلة فهناك نقطة مهاب الرياح
وجرارات البحار التي هي مصادر اسباب الحر والبرد

ومن ذكر اصحاب الرحلات يتضح تقدم الناس في المعرفة وتدة اهتمامهم

بتلك الاكتشافات وذلك من الاطلاع على ما كان كل من السباح يكتشفه
بخصوص ما يدخله من تلك الاقطار . فسيبتيان كايوت اكتشف بلاداً سميت
« الارض الجديدة » وغسبردو كورتريال اكتشف بلاد ليرادور . وجاك
كرتي اكتشف « فرنسا الجديدة » اي كادة . وبيرين الدانركي اكتشف المصيق
المشهور المسي باسم ومات هناك . وهيرن اكتشف البحر القطبي وهو يتصيد
لحساب شركة هدسون . وماك كزري اكتشف النهر الوحيد من اميركا الذي
يصب في البحار القطبية وسماه ماسمو . وفوربيشر ودافيس وبافين وفوكس
وميدلتون وويلوغبي وسكورسي وبارتس ورنجل وروس وباري وكثيرون
غيرهم بدلو جهدهم وخطروا بحياتهم حتى ملأوا البحار طائفة التمالية باسماء جديدة
وعرفوا عدة اماكن قطبية وحاولوا خرق تلك الحواجز الهائلة التي تحول دون
بلوغ القطب . وكان معظم اهتمامهم اما لمصالح تجارية او للاختبار بالاكتشاف
ان يجدوا طريقاً صحيحاً يوصل بين الاتلنك والاقيانوس الجنوبي اي الماسيبيك
ولذلك لم يوجهوا كل حواطهم للبلوغ ففألت رحلاتهم اليها الى ان قام
مركبتين وسافرا لاستفراء الاقطار القطبية فرحل ثلاث مرات آخرها سنة ١٨٤٥
فكانت آخر هذه الرجل العظيم مخوفة بالنعاسة وحيث اناره مدة طويلة
حتى تحركت هم انكثرا واميركا لاقتناء اناره والسعي في نجاته اذا كان حياً
فتجت عن هذه الرحلات نتائج عظيمة الفائدة كما سنبين . والسبيل الذي سلكه
فرنكلين مصيق لكستر كان مجهولاً من جهة الساحل الشرقي من غريلندة
ولم يتيسر النجاح لعدم اسظام مجاري المياه والجليد في تلك الاقطار ولم يقدر
احداً ذلك ان ينجاور الدرجة ٧٨ حيث البلاد المسماة بارض الملك وليم . غير
ان الساحل الغربي من غريلندة هو الذي تيسر فتح سبيل فيه فامخ النتائج
الحسنة وسياتي في فصل نال ان مركبهم بلغ سنة ١٨٧٦ الدرجة ٨٢ والدقيقة
٢٠ وهي اقصى نقطة شمالية بلغها اوروبي . ومداكثر من ثلاثين سنة كان اهتمام
السياح معروف في ذلك السبيل اما لبلوغ القطب واما لتحقيق الطن بوجود بحر

سائل داخل القطبة في وسط الدائرة الجليدية العظيمة
وبالاختصار نقول ان محاولة بلوغ القطبة الشمالية نجحت عن السعي في
اكتشاف سر من الشمال العربي والشمال الشرقي فحصلت من ذلك معرفة
حوادث قطبية نتج عن الاعترار على ما سيأتي

الفصل الثاني

الاستقرارات منذ عهد فرنكلين

قلنا ان الحواطر توجهت الى جهة فرنكلين في رحلته الثالثة لبحار القطبة
الفاصلة بين الاوقيانوسين وكان معه ٢٨ رجلاً فقط ومضت عليه سنتان ولم
ترد من نحو اخبار فاستعمل مال امتلكه وارسالت ثلث لجن ليقتسوا كل البحار
والاجوان والواعيز التي في ارجيل اميركا في حوار حريرة لميل . ولم يصادوا
شاحاً فمركت الولايات المتحدة وارسلت اسطولاً مولاً من احدى عشرة سفينة
من حملتها سفينة هجرتها امرأة فرنكلين وحملت قيادتها للبرنس البرت .
فاستقرت سنة ١٨٥٠ واهي بوغاز بارو وشوا باجتهاد حتى يروا دايلاً واحداً
للاهداء الى السبيل الذي سلكه فرنكلين . محط المسعى ايضاً ثم عاد البرنس
البرت سنة ١٨٥١ على سفينة امرأة فرنكلين وصحب شاكاً فرنسويّاً خبيراً اسمه أو
فبذل جهداً لا يقدّر وعاد القوم خائنين . فظهرت في السنة التالية سفينة اسمها
ايرابل ولم تاتِ نتيجة ايضاً . ومع ذلك فلم يصعب العزم فاعادت الفرنسيون

لوسنة ١٨٥٢ فوصل الى جزيرة بتشي وهي النقطة المركزية للبواغيز القطبية وعزم على المسير الى مصيق ولتتون ليسلم الى القبطان بلشر رسائل الجغرافية فدمه عاصف شديد القاه في شق عميق ولم يشعر به رفاقه ففنى شهيد العلم والانسانية واسنت عليه انكثرا كما اسنت فرسا

ومع كل ذلك لم تسقط همّة الناس في البحث عن فرنكلين فسنة ١٨٥٨ و١٨٥٩ رحل القبطان ماك كلنتوك في ثلاثين سبعة وكانت امراة فرنكلين قد جمعت ما بقي لها واستعانت باهل الخبز والسماج حتى جهزت سبعة القبطان المذكور . فمضى وصحبه ٢٦ رجلاً من نخبة الملاحين مهم اثنان من احذق الناس واكثرهم خبرة . فاقاموا في بحر ما بين مدة الشتاء ومصر في نيسان سنة ١٨٥٨ الى مصيق ليكسنر ولعلوا جزيرة بتشي واقاموا انرا لذكور فرنكلين ومصر الى مصيق البرس ربح ليصرفوا فصل الشتاء

ففي ربيع سنة ١٨٥٩ بلغوا شبه جزيرة نوتيا وهم يسألون الناس عن اهل السواحل فاقادهم قوم من الاسكيو انكسار سفينتين كبيرتين في جهة الشمال العربي من ارض الملك وليم واروم اشياء مختلفة من اثار العرقى . فتقدم ماك كلنتون ورقيقاه لاستفراء سواحل تلك الارض . فلما بلغوا المكان الذي وقف فيه حصن روس قبل ذلك العهد عشرين سنة تنس هذا السبي وحده سون احد رقيق ماك كلنتون ردهة من المحارة فمشها ووجد فيها ما اطار فواده فرحاً وحده رقتين فيها افادات من اصحاب رحلة فرنكلين رصعوهاماك حين مرورهم الى السواحل المأهولة وكانت هذه الردهة انرا بني مرور الدس كانوا يتشون عليهم . ففي احدي الرقتين ذكر اقامة فرنكلين في فصل الشتاء في جرين بتشي والثانية مورخه في ٢٥ نيسان سنة ١٨٤٨ ومكتوب فيها ما باقي « توقعت السفينتان عن المسير بسبب الحايذ في ١٢ ايلول سنة ١٨٤٦ واطلقنا في ٢٢ نيسان سنة ١٨٤٧ على مسافة خمسة فراسخ من جهة شمالي الشمال العربي وكان عدد الصايط والركاب ١٠٥ تحت قيادة القبطان كروازي واقاموا في هذه

الأرض ومات فريكلين في ١١ حزيران سنة ١٨٤٧. وعدد الذين ماتوا الى هذا اليوم تسعة ضباط و١٥ نوتيا وعددا (٢٧ مئة) سافر الى نهر ماك " فحينئذ تقدم ماك ككتون وبائية الى الجبهة المذكورة فوجدا سهولة آثار اصحاب الرحلة اي جنتهم متفورة على الأرض ورورقا معدا لاجياز المصيق الماصل بين تلك الأرض وراميركا. هذا كل ما عرفاه

وسنة ١٨٦٨ و١٨٦٩ كانت رحلة مال الى هناك فاستعاد من الاسكيو فوائد مصلة بهذا الشأن مدة اثنتائ في خون بولس. فيعلم ما افاد ان كروازيني كان قد بلغ البر في طوف من جلد اشترأه من الاهالي بعد ان ترك الرورق الحشوي لتقله على نوتيه المموكين من التعب. فلما برل الى البر اصطر الى فتنة بينه وبين الاسكيو فغار بالطار وقد اعياى اصحابه فحدثت بينهم مطارحة على طريقهم والشرمة التي بقيت منهم حاولت بلوع حص روفيدس فلم يصل منهم احد والاحير الذي بقي منهم كان الاسكيو قد امسكه عندهم فمات سنة ١٨٦٤

فبدل المهمة في التنقيب عن آثار تلك الرحلة واتى بكتشف امور اخرى. نعم انهم اكتشفوا آثار الرجال لكن لم يعرفوا لمخص الاعمال التي قام بها فريكلين. سنة ١٨٧٢ و١٨٧٧ استقصى قبطانان يقال لهما نوتر وباري اخبار تلك البكة من الاسكيو فاخبر انان منهم يبلغان من العمر من خمسين الى ستين سنة ان الذين بقوا في الحياة من اصحاب فريكلين اقاموا ردة اودعوها الاوراق المتعلقة برجلتهم وبعد ذلك وقف القبطان ادمس في نواحي ارض كوككرن على افادات تتعلق بموت فريكلين

ثم ان غردون ست مدير حريدة نيويورك هرلد اراد ان يرسل جماعة للتفتيش على فريكلين كما ارسل للتفتيش على ايمفستون حين طست اخاره في محاهل افريقية لكن لم يات مسعاه نتيجة. فالحاصل ان كثرة الرحلات المسبة عن نكة فريكلين قد انتت العلم بوائده عظمة الشأن بخصوص النفاة

الشمالية وكان عدد الرحلات ١٩ في مدة ١٢ سنة وكان معظم الملاحظة بين
 أكتاترا واميركا لمعرفة طريق القطب فاكتمت بذلك اكتشافات جليظة من
 حملتها القول بوجود محرسائل ضمن المنظمة الجليدية في نفس القطب
 ومن اعظم الرحلات التي تستحق الذكر وتقوم بمحمد صاحبها وتؤيد سمو
 همو رحلة القبطان هال فانه جهر بسره التجهيزات اللازمة ومضى في سفينتين
 يتنم الاهوال فانكسرت السفينتان ولم يصعب عرمة بل ركب زورقاً وطاف
 به المحار ومكث مدة في بلاد الاسكيمو يتخلق باخلاقيهم ويتخذ عاداتهم حتى
 وقف على اسرار تلك الاقطار وانكشفت له سرائر تلك الامة من سنة ١٨٦٤
 الى ١٨٦٩

فلما رحع نال رضي العموم ووهنت الحكومة تعويصاً عن حسائره خمسين
 الف ريال وسعيه من احسن السفن التجارية . فتحمل رحلة جديدة وكان
 لصحنه رجال من الاسكيمو مع عيالها كاناسباً لانقاذ المسافرين من هلاك مبين
 غير ان التوفيق لم يساعد هذا الرجل العظيم فانه لما بلغ الدرجة ٨٢ من
 العرض الشمالي مرض ومات مدفونه في الارض التي اكتشفها وسميت باسمه .
 وانفق ايضاً ان السفينة الكبرى صادمت بعنف التيارات قطعة من الجليد كالجل
 ثم صدمتها قطعة اخرى ورفعتها الى علو عظيم فسقطت عنها وابعدت منها ١٩
 رجلاً بقوا على الجليد والسفينة تجرها التيارات في عرض البحر

وكان من حملة الدين انصلوا عن السفينة اللائب تبسون وهو ذو سكية
 وثبات وحذق في التدبير لايفتنل لدى المذائب . فلما يش من السفينة كان
 اصحابه قد افترقوا ان يتخذوا اقرب واسطة نقيم من الهلاك غير ان الصعوبات
 فاقت الحدود فانهم كانوا يعيدون عن البر وقطعة الجليد التي كانوا عليها كانت
 تسير بهم في عرض البحر وكانت كل يوم تصدمها قطع اخرى فتقطع منها
 قطعاً كبيرة حتى صار قطرهما كيلومترين وكل ما حاول المساكين من وسائل
 النجاة ذهب سدًى فاقاموا يئاسون شداوند البرد والجليد والرياح والجوع ايضاً

وكان مارس لا يعمل عن جمع كمية وافرة من الراد في كل ساحل حتى اذا
اصبوا فقد السبح مجدوا في رجوعهم ما ياكلون . واذا كانت السفن عاية في
المنامة تسر لم خرق الجليد ولوع الدرجة ٨٢ هناك اعترضهم حبل من
الجليد فما استطاعوا ان يمتازوا الدرجة المذكورة الا مابعد وعشرين دقيقة .
وهي آخر نقطة بلغت سبعة الى ذلك الوقت . وحينئذ اخذوا الاحتياطات
اللازمة لفضاء فصل الشتاء حيث لا يرون الشمس مدة طويلة . غير ان
مارس احتشد قبل هجوم الليل القطبي الطويل ان يستفري كثيراً من تلك
الاقطار فارسل مكهام ورتي وماي في الحملات فاعلوا ٢٦ ٢٠ ٨٢ وهي
آخر نقطة من العرض الشمالي وطبها اسار

وكان الدرنش نائب احدى السمينتين يستفري ايضاً النواحي المجاورة لها
فقطع مسافة ٢٠٠ كيلومتر من الدرجة ٦٠ الى الدرجة ٨٧ من الضول الغربي
وكان في كل مكان يجد المحاجر الجليدي الدائم الى جهة الشمال . ومع ذلك
عرف الساحل وتعرحاته وانبت انه يميل ميلاً طاهراً الى الجنوب الغربي بعد
ان يعطف في حط محس الى جهة الشمال

واما السمية الاخرى فكانت اقرب الى الجنوب من الاولى بمضي منها بولون
لاستفراء ساحل غرينلدة . فمضى عدائاً شديداً هو ورفاقه ورجعوا وقد مات
مهم اثنان . ووجد ايضاً صريح النضبان هال سالماً . وكان معه صبيحة امريت
انكثرا ان توصع في القدر تذكراً لهمة ذلك الرجل العبور الذي كشف
الطريق موضعها ولم يستطع الرجوع الى سفينته وهي تجاذبه . فاقام باصحاء مدة
حتى امهكهم الانساب . وفي اثناء ذلك فحص ساحل غرينلدة الى مسافة
طويلة وانبت وجود حرائر ور ايضاً في جهة الشمال لكن لم يتحقق هل هذا
البر الذي رآه مستقل او هو قطعة مرتفعة من ارض غرينلدة من جهة الشمال
وذاق اصحاب تلك الرحلة عذاب اطول ليل قطبي امكن العلماء الحكم
على مدته واصدبهم الامراض وتحللوا قطع الجليد بشهامة غريبة وتعطلت صحتهم

وكان من حملتهم ايضاً الرجلان من الاسكيمو المذكوران وكان جل اهتمامهما
تدبير ما يقتانون به ولولا حسن تدبيرها هلك الجميع جوعاً . وكانت قطعة
الجليد التي هم عليها تنقص كل يوم حتى صار عرضها ٢٥ قدماً فقط فالتهم
الله ان يتنقلوا الى قطعة اخرى ثم يتنقلوا من قطعة الى غيرها حتى يبلغوا البر
ولم يكن معهم الا زورق واحد كانوا كلهم متشبثين به فكادت الرياح في ذات
يوم تتلف هذا الجملح الوحيد الذي بقي لهم واصبحوا على شفير الهلاك المميت بعد
ان قضاوا نحو ٢٠٠ يوم في اتساع الاهوال واذا سمينه لاحت لهم في الانق لمحاولوا
ياوتحون لها باحتداد خارق العادة لكن مصي الهار ولم يعوزوا بطائل . وفي
الليل اشعلوا ناراً كبيرة من فضلة ريت الحيتان الناقية معهم فلما طلع النهار لم
يروا السفينة فصنطوا يأساً

وفيها هم في ضيق الحماق رأوا قلع سمينه ولوحوا لها فرات علاماتهم وانت
مركوها فترحب بهم اصحابها اشد الترحاب ونحووا عجلاً لا مزيد علو من فئتهم
وهم انون من جهة القطعة بقدمهم الجليد مدة ٢٠٠ يوم ولم يميت معهم مع ذلك
احد لحسن تدبير رئيسهم تيسون وعلو همة الرحلين الاسكيميين

فمحر نجاح حال الذي دفع اوهاماً كثيرة في رسوم المحارة القطبية اثر في
اكثرنا تأييراً تدبيراً محمهرت لرحلة لم يسبق لها نظير حتى لا يسقط شيء من
محدثاتها وهو ملكة المحار . فقد تحنت سمينتين من اعظم السفن وامتها بذخيرة
تكفي ثلاث سنوات وكان الفائد الاول القطار مارس المشهور بمخبرته وكثرة
اسناره البحرية وما اكتشافه تكرار السر اموراً كثيرة في قاع البحار افادت العلم
اجل اللوائد الطبيعية . وكان سمينته جيتدر في الباسينيك عند خط الاسنوا .
فارسوا اليه رسالة تلغرافية بمخونه على القدم لرئاسة الرحلة القطبية . وجعل
مركبهم لقيادة احدي السمينتين وسينيسون لقيادة الاخرى وكان ذلك في
حزيران سنة ١٨٧٥ واخذوا معهم كمية من الكلاب لجر الحملات وقاسوا انعاماً
شديدة بن قطع الجليد واعترضتهم صعوبات كثيرة في اجنيز مصيق مبيت

حتى لم يسلم من داء البحر الا ثمانية من ٥٢ . في مركز هذه صعونة وبين
 اخطار هذه تدبها وتعد المناسبة بين تلك العذابات وتناحها المفيدة عزم
 نارس على الرجوع في اول فرصة تيسر له وان كان مأموراً ان يقيم ثلاث
 شتوبات هناك ولذلك كان رجوعه مكدرًا للعموم واتهموه انه لم يقم بحق الرحلة
 ولا اتى بالنتائج المتظرة مع ان الحق انه كشف سرًا عظيمًا وهو قانون الجبرارات
 البحرية في القطب الشمالية وعرف من السواحل مسافة ٧٤٠ كيلومترًا زيادة
 عما كان يُعرف قلة . وعرف بتحقيق طبيعة ذلك الحاجز الجليدي الذي
 لا يستطيع الشر احتيازه . وعرف ان داحلة ابي في مركز القطب ليس بحر
 سائل بل اوقيانوس من الحمم مولى من قطع عظيمة تاتية مذقرون عديدة .
 وان ذلك البحر الجليدي يمتد من ساحل غرينلندة الشمالي الى الساحل الشمالي من
 اميركا في مسافة طولها اكثر من ٢٢٠٠ كيلومتر . ووجد ايضا آثار الاسان
 القديم الذي استوطن تلك الاقطار الى حد الدرجة ٨٢ من العرض وكشف
 ايضا في تلك النقطة مجآ من فحم الحجر من الرمن الثالث الجيولوجي

وبما كانت اكلترا واميركا تحاولان دخول النقطة من مصبى سميت
 كانت المانيا تحاول كشف طريق مستقيمة بين غرينلندة وستسرع بهمة وتدير
 البحري المشهور بينرمان وكان بينرمان يثبت القول بوجود بحر سائل في
 نفس النقطة فارسل سنة ١٨٦٨ السفينة المسماة جرمايا لاكتشف هذا السر .
 فاعتصرها الحبلد وسد طريقها باقرب وقتاً من ذي قبل حتى لم تبلغ ساحل
 غرينلندة . فعادت الى بواحي ستسرع واخذت تقارب غلبة كثيرة الفائدة .
 ثم رجعت ولم تبق شيء مما حُصت بالذهاب لاجله

واما بينرمان فلم يقع هذه الرحلة وطمأنه بال قصب المسق في تحقيق
 قولوه محز على سفة لرحلة اخرى سمينتين بحاريتين مئيتين جداً وكان من
 حملة الراحطين جماعة من اشر العلماء . والفائد كولدرى من احدق روساء
 البحر وضموا الى الساحل الشرقي من غرينلندة لتسهيل الاستفراء . وكانت كل

الطروف موافقة لانتماء هذا العمل العظيم

فلما بلغوا الدرجة ٧٤ من العرض انفصلت احدى السينتين عن الاخرى
بانتارة مهمت سوء فهم والواحدة منها صدمتها قطع الجليد وحطنها فجاركا بها على
الجليد وساعدهم القدر بحسط زوارقهم فوصلوا الى ملاذ ماهولة جويي عربلدة
واما السينة الاخرى وهي المعول عليها فمكنت قرب ارض الملك ولهم وهي القسم
الشمالي الشرقي من عربلدة . (وهي عبر حريرة الملك ولهم الواقعة في الدرجة
٦٩ من العرض الشمالي بين ارض فكتوريا وحريرة نوتيا)

ففي الحريف استقروا بعض اماكن قبل دخول الليل القطبي . وكان
الشتاء لاجل التوفيق غير شديد عليهم . وكانوا قد تقدموا في العجلات الى
الدرجة ٧٧ واولا ساد الراد لتقدموا اكثر وكانت المؤنة معهم لسنة واحدة
اخرها الصيف القادم عليهم . فرجعوا سواند كثيرة عن مسافة طويلة من
تلك السواحل وتقريرات لذيذة عن الحايك في غربلدة واما المحاجر الجليدي
الشمالي فمجهروا عن خرقه بطير من تقدمهم

واما هولندة والدانرك فكان قصارى هما القيام بصلحتها فقط في الاسنار
البحرية ومع ان مسالة القطنة الشمالية اخذت مكانا في افكارها فقد تركا
العناية في حلها للامم الاخرى . فلما حصل المحاج في الرحلات السانقة احدثها
العبرة للسعي في معرفة الشمال الاقصى مشاككة لغيرها . فمد سنة ١٨٧٨ كانتا
تسيران كل سنة لجنة تاتي بمواند حمة

وسلكت روح ايضا هذا المسلك فكان يتيسر لها المحاج بسهولة في هذه
المسألة لزيادة قربها الى الشمال . فاهتمت الحكومة بتعليم بحريتها العلوم الجغرافية
ورغبتهم في الاقدام على المخاطر الشمالية وهم بالطبع متعودون خوض البحار
الجليدية لصيد عجول البحر واخنيان حتى اهم يدخلون اصعب المسالك لتحصيل
شيء قليل ولا يبالون ببرد ولا مشقة لصلابة ابدانهم . ولذلك كانت اعمالهم
اجل فائدة ما سواها في العلوم الجغرافية . ولتنشيط الحكومة اياهم تراهم دائما

ياتون بفوائد جديدة من اعد السواحل واقصى البحار الشمالية . وهم الذين
اكتشفوا شبه جزيرة سنسبرغ وقرروا امكانية الطواف حول رملة الجديدة
وهم الذين فتحوا الطريق لدخول بحر كارا هذا فصلاً عن اكتشافات اخرى .
واسوج ايضاً لم تقصر في اعمالها فاما هي التي كشفت الممر الشمالي الشرقي كما سيأتي
فاذا تشعبا الرحلات التي تكدها الناس لاكتشاف القطبة الشمالية لا ترى
ان مؤائدها وارت الحسائر الحسيسة التي وقعت على الامم بين مال ورجال ومن
٢٠٠ رحلة معروفة لاستجلاء غوامض القطبة لم يقدر احد ان يبلغ اوسطها بل
كان حدهم تلك المطقة الجليدية المهدقة بها . فان برّي مثلاً فات الدرجة ٨٢
بدقائق قليلة كما مرّ وقد بقي للوصول الى العاية المطلوبة ٦٠٠ كيلومتر
ولم يرالوا يجدون في السعي الى الآن . ولا سيما بعد ان قرّروا ويرخت
وجوب اقامة مرصد قطبية مولعة من جميع الدول . فلم يأهبوا لمقابلة اولاً حتى
حددت هذا الراي الولايات المتحدة ونجحت في معامها وعقدت مؤتمرات
دولية فارتأوا اقامة احد عشر مرصداً في الاقطار القطبية ارسات اليها لحس
من روسيا واسوج وروح والدانرك والنيسا وهولدة والولايات المتحدة واكثرها
والمانيا منها عشر لحس في الاقطار الشمالية وواحدة في الجنوبية . ثم دخلت
مرسا في هذا المسعى وارسلت لجنة تنيم في البلاد المسماة ارض النار
ولا بد ان الاساس يصل الى درجة من سمو الادراك وعلو الهمة وتحصيل
الصعب في الاحيال القادمة لا تحظر سال الاحيال الحاضرة . والرهان ان
المصاعب التي ذلها والاختار التي افنجمها والاسرار التي استخلاها والمشاكل
التي حلها والمحامل التي استغراها في هذا العصر فقط اكبر دليل على القوة
العطى التي اودعها ميورب القوات

الفصل الثالث

المعبر الشمالي العربي والمعبر الشمالي الشرقي

كان السبب في التفتيش على مرّ يداره حول رامبركام من جهة الشمال العربي ان سيّاح القرن الخامس عشر كانوا يعتقدون ان اللاد التي اكتشفها كولبس معترضة في طريق الهدد . مطامع كابوت البديقي الذي كان متيماً في انكلترا وتبع البرتغال بعد تأكدها انها تحصر الارياح الناتجة لها من اسفار فاسكوداعاما حرّكت الهبة لهذا المسعى . وبقي الامر عامصاً الى رمن رحلات دافيس سنة ١٥٨٥ و١٥٨٦ و١٥٨٧ وحينئذ عرفت احوال اللاد الجديدة التي دخلها اهل الاستقراء . وكان هدسون في رحلته الاربع التي اتمها سنة ١٦٠٩ اشد اجتهاداً من سلف لاكتشاف الطريق المذكورة . وكان دافيس مصاحبة نصفه ديدمان فحقق ان المسلك المطلوب بعيد الى جهة الشمال فتقدم الى الاقطار الشمالية واكتشف مصيق لكسندر وكان قصده الوصول الى اليابان فلم يتيسر له

وبعد ثلاثين سنة انتأّت انكلترا تركة كبيرة في جون هدسون سعي رجل فريسوي اسمه دي غروزيلي ارسله لويس الرابع عشر فكان من جملة اعماله السعي في ايجاد المعبر الشمالي العربي فعرف بعد نحو سبعين سنة ان اهتمامها كان في توسيع تجارتها بالهراء واما لم تنهم بوجود طريق تودي الى الاسييك فقصدت انكلترا التعويض عن هذا الاهمال فارسلت ميدلتون لوجود هذا المسلك فلم ينجح وكان مدعيها انه يعرفه

فلما اجلس المجلس العالمي الى واسطة اخرى وعين مبلغ ٥٠٠٠٠٠٠ فرنك جراه
 لاول ملاح ينقطع جون هيدسون وبرجج ماراً سوغاز بيرين فاخذ روساء
 البحرية المشهورون بجاولون ذلك. مثل مور وسميث وكوك وهرن وماك كنزي
 فعادوا خائبين. ولما كان اول العصر الحالي حالت الحروب الاوروبية دون
 الاسفار الى جهات القطبة غير ان سكورسي عزم ان يكون وسيلة الافتحار
 لبلاده فاتحاً لارجاع الدركات المتوقفة في سنة ١٨١٨ رحلت لجنات الى
 الاقطار الشمالية من قبل انكلترا احدها تحت امرة جون روس والنائب باري
 فحدث في كنف المعبر الشمالي العربي. والاخرى تحت امرة بوسان والنائب
 جون فريكلين كانت تسعى في وحوود المعبر الشمالي الشرقي. فعادنا بلا نتيجة
 فتذكر باري من حينه وعاد في سبنتين سنة ١٨١٩ وتقدم الى جزيرة مليل
 عند الدرجة ١١ من الطول العربي ثم رحل رحلتين متتابعين فعرف بها
 عدة مضائق في الارخبيل الشمالي واما المعبر المطلوب فلم يجد

فلما علمت انكلترا ان نجاحها بجزراً لا يتيسر عدلت الى السعي في البر فسمت
 ١٨٢٠ كلكت جون فريكلين ان يسير في عجالات على ساحل اميركا. فكانت
 هذه السباحة شديدة المتقات وعرف بها فريكلين مسافة ١١٠٠ كيلومتر من
 الساحل وبعد ثلث سنين عاد الى تلك السواحل بجزراً وكان مائة باك بمحض
 انجاءها. ثم ان دير وسمسون وراي وولس وهور انقوا الطواف حول كل
 الساحل الشمالي من اميركا سنة ١٨٥٠

وكان جون روس في اتنا ذلك بمحاول تجديد رحلة لكي يوز بالمطلع
 المذكور وحتى لا يكون هذا الفصل لباري وحده وهو حينئذ يسعى باحتداد
 عظيم. فلم تسمع الدائرة البحرية لروس بمطلوبه فبعت الحصة في راس تاجر
 غني اسمه فيلكس بوث فجهز لروس سفينة فسافر في الربيع سنة ١٨٢٩ وغاب
 اربع سنوات وكان لم يبارح قطراً من الاقطار المظنون وحوود المعبر فيها الا بعد
 ان يدق الفحص فيه. وفي تلك الاثناء اكتشف البلاد المسماة ارض الملك ولم

(ملك انكلترا) واكتشف ايضاً مصيق بيل واخر سماه باسمه وعدة اصناف من الساحل كانت قبله مجهولة تم اكتشاف شه جزيرة بونبا الكبيرة فجعل اسمها منسوباً الى بوث الذي امده بالمو. وفي تلك الارض فوق الدرجة ٧٠ من العرض الشمالي تقبل وقرب الدرجة ١١٠ من الطول العربي اكتشف النقطة المعنطسية اي المكان الذي فيونجه الامة المعنطسية اتجاهاً عمودياً تاماً

وكان ماروقد اودع في الافكار وجود مصيق بين الجزائر والصحور التي تحيط بالساحل الشمالي من اميركا غير ان طول الطريق جعل الحاذقين في سلك البحر يقولون بوجود مسلك اخر اقصر مسافة فجعل بونغار لكسبر نقطة الارتحال للمساعي فيما يلي . فالامادات التي اخدها فريكلين في رحلته الاخيرة حمانته على التوجه حوثاً بعد اجنيار مصيق مارو . وكان يعرف تلك السواحل معرفة جيدة وساعدته فطنة على صحة المسح الذي يجب ان يهتج ورحم انه يجد المطلوب في جهة الجنوب بعد عاء شديد ومشتقات لا توصف اتصل الى كشف معبر طالما سماه هو ومن قبله وكان قد تقدم في سعيه الى بونغار فكتوريا . ولم يقدّر ان يصل الى راس بارو المودني راساً الى بونغار بمرس لكته تعزى قبل موته بكونه وصل بحدّه بين اكتشافاته واكتشافات ناك وديز وسيسون برّاً وكان مشاركاً لهم في هذه ايضا قال بعضهم " ان فريكلين ورفاقه صنعوا ماديوات حياتهم او بمطرفة موثهم آخر حلقة من سلسلة الاكتشافات حول ترّ اميركا " لكن بسبب موت فريكلين بقي اكتشافه ذلك المعبر مجهولاً الى سنة ١٨٥٩ حين كتبه ماك كلتيوك كما مرّ آمناً

وكانت ماك كلور قبل هذا العهد تسع سنوات (اي سنة ١٨٥٠) قد رحل مع كوسون الطواف حول ترّ اميركا مارّين بونغار بيرين . ففي الشتاء انفصل ماك كلور عن رفيقه وتقدم سفينته الى جهة الشمال الشرقي يطلب في ذلك الساحل مسلكاً في الجليد القطبي . فاحناز نهر ماك كتري ووصل امام ارض بنك فحاول الطواف حولها من جهة الساحل العربي فاعترضه الجليد

فعاد الى سته من الساحل الشرقي واصطر ان يميل الى جهة اليمن فاكشف
ارضا سماها البرنس ألبرت وانت انه احترق مضيقاً فاصلاً بين هذه الارض
وارض سك وهو يسير الى جهة الشمال الشرقي . فتشط بهذا التحاح وعزم على
التقدم بزيادة معه الجليد فاقام فصل الشتاء واخذ يسير في العجلات ويدقق
البحث في المراكز الى ان تحقق انه وصل الى خليج مليل الذي دخله ناري
سرعة في رحلته الاولى فكان فرحة فائق الوصف لحله مشكلاً طالما اتعب
الناس العظام غير انه كان يجهل كعبه ان اول من احثار هذا السبل
وركبته الى ان طهر الامر بعد خمس سنوات . وهكذا تقرر انه يوجد معبر
واكثر ايضاً من جهة الشمال الغربي بطاف بواسطته حول ر. اميركا لكن
لاستطيع السمن ان يختار تلك المعابر لدوام الجليد

واما مسألة المعبر الشمالي الشرقي فلم يلتفتوا اليها اولاً لاشتغالهم بالاولى .
وكان النور مندبون الذين اكتسحوا اورما واتصلوا بسواحل اميركا قبل ان
اكتشفها كولبس خمس سبب لم يتجاوزوا في انحاءهم شمالاً البحر الايصوص . فاول
رحلة كانت عابتها الجهة الشمالية رحلة ويلوغي وصحبته رتشردتسلور وكان
الذي حث عليها سنة ١٥٥٢ الديديان المشهور الانكليزي كارت وذلك
لكشف طريق من الشمال الشرقي الى بحر الهند وقد طمأنهم بضمان اليه
ماخذ الاحتمالات اللازمة لنجاح تلك البحار الشمالية الكثيرة الاخطار عبر ان
مساعيتهم حطت مهلك منهم جماعة تحت رئاسة ويلوغي من شدة الجوع والبرد
بين جبال الجليد واما الياقون فانصلوا بالبحر الى سواحل روسيا حيث
اسسوا مدينة اركيجل . وانصل شنسلور بمخدق وحسن تدبيره الى بلاط القيصر
الروسي ايمان الرابع واستعطفه حتى منحه امتيازاً تجارياً وارسل معه وفد الى
انكلترا فدهمهم بوه شديد عند سكونلندة كسر السمن وغرق شنسلور ومن
ذلك العهد جرت المواصلات التجارية بين روسيا وانكلترا

وسنة ١٥٥٦ و ١٥٦٠ و ١٥٨٠ ارسلت انكلترا عدة لجن فاعترضها الجليد

حتى لم تدخل بحر كارافصعف عزم الانكليز وقل اهتمامهم بهذا الشأن . لكن على عهد الملك جاك الثاني أرسل وود سنة ١٦٧٦ في سفينتين احدهما متحونة بصائح للتجارة في الصين واليابان فوصل الى زملة الجديدة وأبكرت السفينة التي كان فيها قطع الحديد . فينست أنكلترا من ثم من امكانية احتياز البحار الشمالية الى جهة الشرق الى ان قام كوك المشهور برحلاته العظيمة وحاول فض هذا المشكل فسامر من بلهوث سنة ١٧٧٦ وبلغ بوغار بيرين سنة ١٧٧٨ بعد ان نجول بمح في اقطار الماسيبيك (راجع رحلته في كتاب ملخص السياحات الكري)

وكان الهولنديون يجهدون حدًا في وجود معبر من الشمال الشرقي الى الماسيبيك فسنة ١٥٩٤ خرجت اربع سفن تحت امرة الاميرال كوريليس كورنيلسون وديديبايه الاول مارتنس فصي كل منها في جهة وحصل بعض نتائج حسنة فكوريليسون وصل الى جزيرة فيفتس وقطع بوعاز كارا وراى امامه بحرًا فسيما غير منجمد معاد على الفور يشراه وحد المعبر الشمالي الشرقي واما مارتنس فبلغ سواحل زملة الجديدة واستفراها الى راس ناصو وكانت كل قطع الحديد المتكسر في الشمال تاتي من هناك فحاول احتراقها عشرين مرة فحاسب ثم انضم الى كوريليسون وعاد معه الى هولنده

في السنة التالية ارسلت سبع سفن لما طهر من ناشير الجاج ومعها بصائح رسم الصين وكان مارتنس ايضا الديديان الاول فعادت السفن خائبة لان الفصل لم يوافقها فصعف عزم هولنده ووعدت بجائزة سنية لمن يجد المعبر الشمالي الشرقي الى الصين

فسنة ١٥٩٦ ارسلت سفينتان وكان بارتنس الديديان في هذه الرحلة فنبيل انهم اجناروا الدرجة ٨٠ في تقدمهم تمالا ليجنازوا زملة الجديدة . والمحقق انهم بلغوا ارخبيل سبتسبرغ في فصل رآوا فيه من الحيوان المسمى رنى قطعانا عديدة نسر في سهول تلك الجرائر . واخيرآ ادهم الشتاء ورجعوا ومات بارتنس في

الطريق . وقد نجت من هذه الرحلة نتائج عظيمة جغرافية . فبردت اية بعد ذلك من جهة هولندا

وكانت روسيا حينئذ على عهد ايمان الرابع تنقدم في الجهات الشمالية مكنسجة سواحل سيبيريا . ولما استولت على كمنتكا في القرن السابع عشر ارادت استقراء سواحلها الشمالية وبعد مدة قصيرة تقدم يرين لخدمتها وطاف حول السواحل الشرقية من سيبيريا ومات بعد ان سى باسمه الجزيرة والبحر والمصيق التي اكتشفها فصار ساحل اسيا الشمالي الشرقي معروفاً تقريباً منذ سنة ١٧٣٠ الآما بين كولا ومهرليا من ساحل سيبيريا واما ما وراء ذلك البهر فتقي مجهولاً الى حد حرية فيعش الآ أن بعض التجار كانوا حذراً من مشقات الاسفار يتقدمون على خط مستقيم الى ان يبلعوا خليج اوبي بواسطة قوارب صغيرة يستخدمونها ايضاً مكان البحلات على البر والحديد

وحينئذ عزم الملكة حة الروسية ان ترسل لجنة لاستقراء كل شواطئ الاوقيانوس المتحد الشمالي . فجهزت لها تجهيزاً عظيماً حتى اقامت اللجنة في البحث عشر سنوات وعادت بعوائد حمة لم تعرف الا في اواسط هذا القرن وبما كانوا يستفرون سواحل بلاد السويدية اكتشفوا شبه جزيرة تيمور المزدوجة وحاولوا تكراراً الوصول الى ياكوتسك نهر ييسي . وبلغ واحد من اكثرهم افداًما الطرف الاقصى من ذلك البر السيبيري فسماه بما معناه الراس الشمالي واما الجغرافيون المتأخرون فسموه باسمه اي نيتيلو سكين اكراماً لذكره وسنة ١٧٣٦ تمت معرفة كل سواحل اسيا براً وفي مجهولاً منها بحراً قسم كبير من شبه جزيرة تيمور . وسنة ١٧٦٨ اكتشف روسيو سلوف بوعاز مار متى فكان نقطة مهمة للاسفار . وسنة ١٧٧٠ رأى احد التجار السيبيريين واسمها اياكوف كثيراً من الرى آنية من الشمال فاراد ان يعرف من اي ارض قادمة فضى بقوا الار حتى بلغ على مسافة قصيرة مجموع حزر سميت باسمه ووصل ايضاً الى حل عظيم من هياكل الحيوان المسى «مموث» وهو من اكبر الحيوانات

المفرصة فصاروا يتخذون العلاج من تلك العظام وتوفر مخ روسيا من هذه التجارة ومن سنة ١٨٠٩ الى سنة ١٨١٢ استقرى هودسنرسم الروسي مجموع جزر ليكوف الحسي ايضاً سيبيريا الجديدة . ثم فحص رنجل داحو شواطئ لنا الى الدرجة ١١٥ من الطول الشرقي واستمر رنجل في محصه اربع سنوات انتهت في انائها وعود برّ شمالي سبي باسمه . وهكذا استطاع هو وهودسنرسم وكلت ان يبرهنوا عن مدور وجود الجليد شمالي جرر لياكوف الى ارض رنجل ومن سنة ١٨٢١ الى ١٨٢٤ قام لوتكي برحلة علمية في بحر رمبله الجديدة وسنة ١٨٢٧ جدد المباحث هناك العالم باير الروسي عبر انه لم يتجاوز حد الجليد فعاد وقرر ان ممر كارا مستودع اعظم لكل جليد القطبة وان الاحق هو الذي يحاول فتح طريق في خلاله فسكن الناس عن التجارة المذكورة مدة ثلاثين سنة عبر ان جمعية الجغرافية الروسية كانت تعصد هذا المشروع بتسييرها من يكتشف الآثار الطبيعية الارضية والجوية في انحاء سيبيريا . ف سنة ١٨٤٣ استقرى ميدنرف بعد عشاء شديد الجون والجميرة والمهر التي في شة جزيرة تيمور وكانت المسألة تزداد جلاءً بزيادة الرحلات وبدل الهم حتى رأى تاجر روسي اسمه سيدورون سنة ١٨٤٥ اروماً لارسال سفينتين فلم يتجاوزا شة جزيرة سمويده . وكان الصيادون الثروحيون ياتون كل سنة ممر كارا فعلم من تقاريرهم ان هذا البحر لا يبقئ مجمداً وان فيه معابر الى جهة الشمال . وسنة ١٨٧٢ دخلت نروج سفينه مسويه فيها قائدان حبران وبما باير ووبرحت قاصداً دخول البحر القطبي السائل والتفتيس على المعابر الشمالي الشرقي فوق زملة الجديدة فاسر الجليد السمينة هناك وتراكمت قطعته وتماسكت جداً حتى لم يوتر فيها منشار ولا اقوى منه واستمر في عذاب شديد عدة شهور في ٣٠ نيسان سنة ١٨٧٣ راوا برّاً وكانوا عند الدرجة ٧٩ والدقيقة ٤٣ من العرض الشمالي والدرجة ٥٩ والدقيقة ٢٢ من الطول الشرقي لكن منعهم الجليد عن بلوغ هذا البرّ فسموا ارض مرسو جوزف ثم نشق الجليد في فصل

الخريف وانحل عن السفينة لكن ثبتت تحت الخطر من صدمات قطعها واسرع
الركاب الى البر المذكور ثم تسرهم الرجوع قبل فصل الشتاء. وعرف ان السفينة
بلغت الدرجة ٧٩ والدقيقة ٥٨ محاذة بمضيق كثير الجرائر سي مصيق اوستريا
ورحلوا رحلة اخرى للعوا بها ارض زنجي وصعدوا قمة هيمولت التي ارتفاعها ١٦٠
متراً واشرفوا منها على انحاء الاوقيانوس المتحد محاولين وجود مسلك يخلصون
به من اسرهم فلم يجدوا فتركوا السفينة ومضوا في المحلات وكثيراً ما كانوا يفرقون
في الثلج الى الركبة ويشند عطفهم من شدة التعب حتى كانوا يستوفون الثلج
ونفا شهرين لم يتقدموا اكثر من اربعة كيلومترات واستمروا في هذا العذاب
نحو ثلاثة اشهر الى ان وصلوا الى ساحل زميله الجديدة.

وكانت اكثر الدول عارضة حائرة سية لمن يكتشف الممر الشمالي الشرقي
ومضت عدة سواك بدون نتيجة . وكانت نروح نرسل الصيادين الى الاقطار
الجليدية وتالع في البحث وكذلك اسوج كانت لانالو جهداً في الاستئراء
وكان منها رجل اسمه بوردنسكيولد قصي عشرين سنة وهو بينهم هذه المسألة
ورحل خمس رحلات من سنة ١٨٥٨ الى ١٨٧٢ واقع الحكومة ان تلامر البحث
في فصل الشتاء ايضاً تواصل العمل . واستنخ من تثيرات صيادي نروح ان
الممر من البحر الابيض الى نهر ليا ممكن في العمل وان استحال في الفكر
فمرم على رحلة اخرى وساعده تاجر آخر اسوجي . جهز له سفينة على مفته
ورحل سنة ١٨٧٥ الى ان دخل بحر كارا فوجد قسماً كبيراً منه غير متجمد
وكان الماء عدماً وعرف انه آت من سيول وانهار عطية ساحلية فسار في ذلك
الماء الى الدرجة ٧٥ والدقيقة ٣٠ فظاهرة اخيراً ان انحلال الجليد هناك مانع
عن الصاب مياه نهري يبيسي واوي الحارة في شهر آب وقد اكتشف مصلاً عن
ذلك عدة ابواع من الاتجار في اعلى اقطار سيبريا عند الدرجة ٧٠ وكانت
الاراضي خصبة جداً عند الدرجة ٦٤ والامات بصرة والمروج والمواشي كثيرة
وهذا ما حمل الناس على اشد العجب

ثم رجع هذا الرجل العظيم وقد كشف في بصعة اساييخ ما لم يكشف قلة
بدهور وفتح طريقاً من اعظم الطرق للتجارة . واجتاز بحر كارا الى مصب نهر
بيسي . وهكذا كشف ذلك المعبر الذي قصت فيه الدول سنين كثيرة ولم
تكشفه . وذلك انه سافر في فصل موافق يكون فيه الجليد ذائناً في بحر كارا
فتكون الطريق مفتوحة . وكان من قلة لايراعون هذا السر اللطيف

ثم عزم على رحلة اخرى يطوف بها حول آسيا كلها خارجاً من روج ومارا
بالاوقيانوس المتحد وراجعا من رزخ السويس فامده صديق له اسمه
دكسون مال كثير وساعده ايضا بعض الملوك حتى كانت الدخيرة كافية لعدة
سنين . فخرج في تموز سنة ١٨٧٨ وبلغ راس مارمى ومر بحيرة فيغتش
وهناك لست مدة يدق المبحث في ما لم تتحقق معرفته مستظراً دخول الشهر
الموافق لقطع بحر كارا . وقد عرف ان الذين سقوه لم يكونوا يتظرون الى
اواسط ايلول خوفاً من تعرقهم بقطع الجليد مع ان الوقت المناسب او احر ذلك
الشهر . وعطف في طريقه تنالاً لعله يبلغ القطبة غير ان جبال الجليد معته كما
منعت غيره فعاد حوثاً وسار مفارياً للساحل السبيري ليستفري ويدقق
وكشف عدة جزر وضبط مواقع الاقطار الى غير ذلك

غير انه تعوق بالاستفراء واسرع دخول الفصل الثارد فقصى عشرة
اشهر منتظراً حلول الوقت المناسب للوصول الى بوعار بيرين . فلما كان
ثامن عشر تموز سنة ١٨٧٩ سار في طريقه وبلغ اليابان في ايلول ولم يفقد من
رجالو احد ووصل الى بلاده بامان وقد دار حول اسيا ولوربا معاً
وهكذا اكشف المعلم بوردنسكيولد الاسوجي المعبر الشمالي الشرقي من اوربا
الى الصين والهند سوعاز بيرين ماجنيز البحار الشمالية في شهر ايلول . وبهذه
الواسطة حصلت الانصاليات التجارية العظى بين اسيا ولوربا واقطار سيبيريا
الشمالية بسهولة لا تقدر لها قيمة . وكانت فائدها العظى لروسيا

خاتمة

— ❦ —

في طبيعة القطبتين

اما القطبة الشمالية فلكثرة السياحات فيها وتكرار الاستقراءات الجغرافية والطبيعية قد استعاد العلماء عن احوالها فوائد اخبارية جليلة الشان بطول ترحلها لكن ما يحجب الالفتات اليه هنا ثلاث قضايا مهمة الاولى طول مدة الليل هناك وما يظهر فيه من المظاهر اثابة الشفق الشمالي الثالثة كثرة وجود الحيوانات في داخل القطبة . هذا مع قطع الطر عن مجاري القطع الجليدية العظيمة وما يتأني عنها من مصاعب التجول

فالشمس هناك تخفي عدة اشهر تحت الافق والذي يمر عليه فصل الشتاء اول مرة لا يملك نفسه ان يرتعد ويحنق قلبه رعباً من احوال الطبيعة الظلامية حتى ان الحيوانات تظهر عليها امارات الرعب .

ويختلف طول الليل باختلاف الدرجات بمقدار درجة ٨٠ تكون مدة الظلام ٢٧ يوماً لكن يظهر في السماء بعض اوار خفيفة محضرة وقد تسطع حتى تكشف الحرة ولا يملك الظلام الا موقوف التلوج وتكاثف الصباب . وفي مدة ذلك الليل تطف حاسنا السمع والنظر فتظهر للعين مناظر غريبة كالسراب والهالات والشموس الكاذبة والاقمار الكاذبة ولا سيما الشفق الشمالي العظيم الذي يعظم ويتكاثر كلما هت ربح الجنوب وقد عرف ان سبب هذه المناظر تكسر النور البعيد في قطع الطخ السابجة في الفضاء وانعكاسه عنها . واما السموعات فتزيد قوتها فاذا سقط حمر متلاً يخرج لوقعه صوت كهو صوت المدفع

وإذا تكلم الانسان يسمع صوته الى مسافة كيلومتر وبفهم كلامه
ولذلك يكون اعظم فرح للانسان هناك قرب وقت طلوع الشمس
تظهر اوارها أولاً شيئاً بتمامها بالتدرج ويظهر القمر أولاً ضعيف اللون ثم يحد
ثم يحل ويسطع نوره حتى يرى الانسان على مسافة كيلومتر . وبعد خمسين
يوماً من اول ناشئ الشفق تظهر الشمس نهائياً وتكثر أكثر من اربعة اشهر
على الافق فتكون لظهورها اعياد عامة في الاقطار الشمالية ويصرمون برباً
عظيمة في ٢٤ حزيران الذي هو اطول ايام الصيف عدهم

وفي اعد نقطة شمالية انفصل اليها الانسان وحدث آثار الحياة النباتية
والحيوانية بكثرة حتى ان الثلج يعيش فيه ملايين ورويات من حيوانات صغيرة
ومركسكوية صفورية حتى اذا داس الانسان شدة تظهر على اثر قدمه
اتمة ماهرة مثلاًفة . وكثيراً ما شاهد الدين بلعوا الدرجة ٨٢ و٨٣ قطعاً من
المحبات ناتي من جهة الجنوب ودخل داخل المنطقة الجليدية وشاهدوا ايضاً
اسراراً لا تحصى من الطير في افاضي الافق فاستدلوا على وجود بحر سائل وبر
حي في وسط القطبة . غير ان مسألة البحر السائل لم تثبت على ثقة

واما القطبة الجنوبية فلم يستعملوا باستقراؤها أولاً لان الجليد هناك اكثر بكثير
ما في القطبة الشمالية بحيث لا يكون وقت يتيسر فيه تحلل والحرمان اعد عنها
كثير ما عن الشمالية والأتار الجوية ضعيفة ايضاً بالنسبة الى ما في الشمال . ومع
ذلك فقد ارسلت لجن مختصة تقيم في الجرائر القريبة لرصد طواهر الطبيعة
وما يتعلق باحوال الاقطار الجوية وحرارية القطبة على قدر الامكان . ولا

بد ان ياتوا فوائد دون الحصول عليها بذل العوس والاموال
هكذا اتم الله الانسان بقوة داخلية ان يفهم محاطر الدنيا ويبحث
بتدقيق عن احوال هذا الوطن العالي لكي يرداد

نحمداً لقدرته وتسميها بالجلالة

وحكمته

